

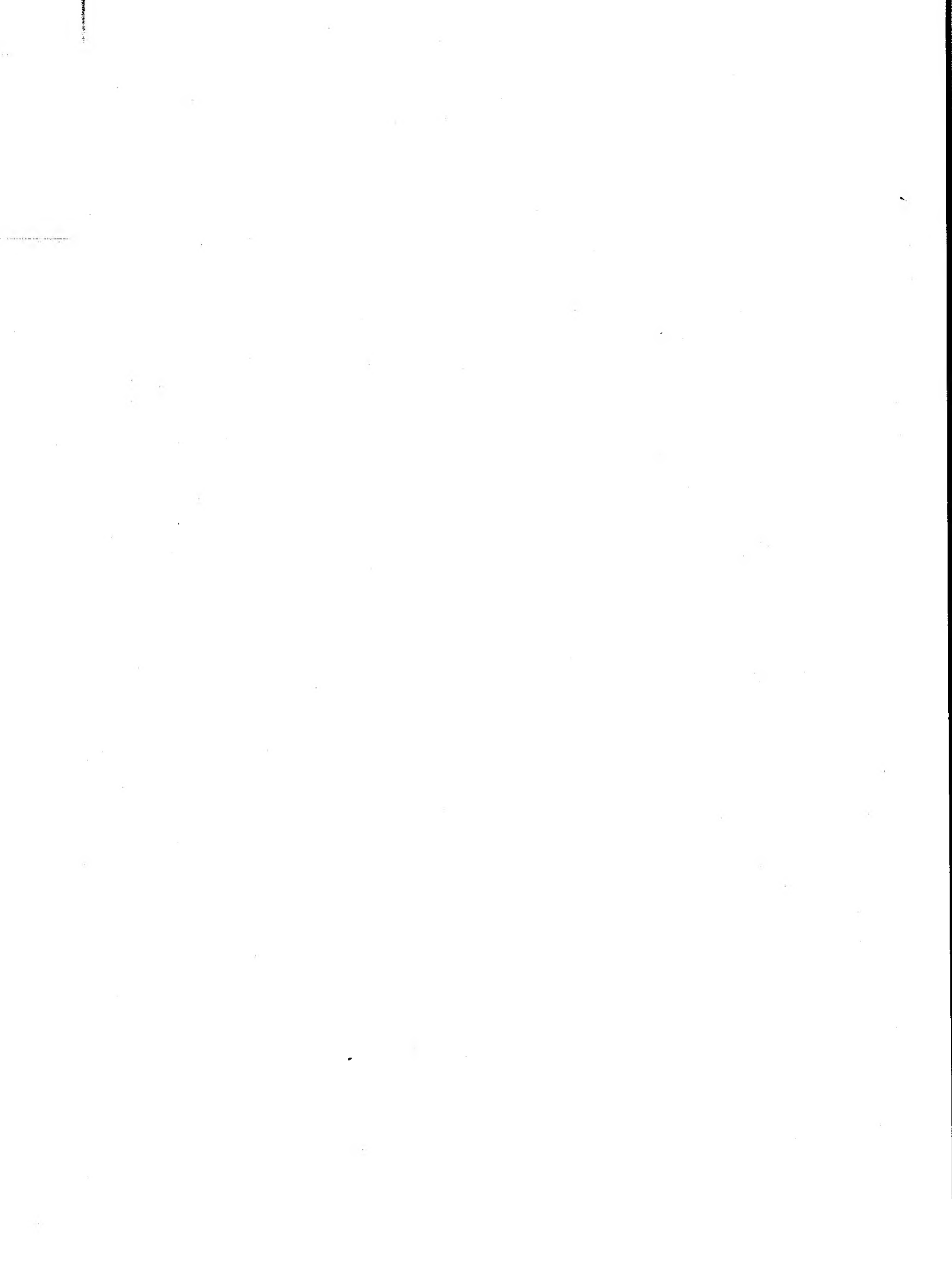
كتاب شهري محكم يصدر عن
رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة
يتناول نشر الدراسات والأبحاث التي
تخدم الإسلام في كافة المجالات

القدس في ضمير العالم الإسلامي

الطبعة الثانية

اعداد مجموعة من الباحثين

السنة الثامنة عشرة
العدد ١٥٥ عام ١٤٢٠هـ





تمهيد

تعتبر مدينة بيت المقدس درة المدن التى اكتسبت مكانة هامة عبر الأزمنة والعصور حتى أصبحت درة فخارها وتاج اعزازها لما تمتعت به من سمعة عبر التاريخ، وبيت المقدس هو الجزء المقدس من فلسطين، وان الصراع الذى خاضه المسلمون عبر التاريخ قد استهدف حفظ هذا الكيان العربى فى مجموعه من القدس الى بيت لحم الى الخليل. واذا كانت القدس قد انفردت بالتنصيص فى مصادر التشريع الاسلامى وما ذلك إلا لأنها رمز لهذه الكتلة المتراصة التى أشار لها الرسول محمد عليه الصلاة والسلام كما أشار الى المجاهدين حولها عندما قال: (**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله**) ، فقد وقع فى حديث أبى أمامة أنهم فى بيت المقدس وفى حديث أبى هريرة فى الأوسط للطبرانى: (**يقاتلون على ابواب بيت المقدس وماحوله لا يضرهم من خالفهم ظاهرين الى يوم القيامة**).

واتفق الشراح على معنى (من خالفهم) أن المراد علوهم عليه بالغلبة ومؤدى ذلك بشارة الرسول عليه الصلاة والسلام فيها على عددهم فكل من اسمعهم من هذا الجهاد من قريب أو بعيد نابه نصيب من هذه البشارة المحمدية التى هى بشارة لكل من دافع عن الحق حيث كان ودافع لنصرة الحرية حيث كانت.

وخير تصوير لاهمية المدينة ما أورده مجير الدين الحنبلى عن رواية مقاتل بن سليمان: (**مافيه شبر الا وقد صلى عليه نبي مرسل أو قام عليه ملك مقرب.. وتاب الله على زكريا وبشره بيحيى فى بيت المقدس وكان الانبياء عليهم السلام يقربون القرابين فى بيت المقدس. وأُوتيت مريم عليها السلام فاكهة الشتاء فى الصيف وفاكهة الصيف فى الشتاء فى بيت المقدس وولد عيسى عليه السلام وتعلم فى المهد صبيا فى بيت المقدس ورفعه الله الى السماء من بيت المقدس وأُنزلَت عليه المائدة فى بيت المقدس، واعطى الله البراق للنبى صلى الله عليه وسلم تحمله الى بيت المقدس**)(1).

وسنحاول من خلال هذا البحث أن نبين توالى الهجرات الى فلسطين وماخلفته تلك الهجرات من حضارات سادت زمنا ثم بادت ولا يتأتى هذا الامر الا بعرض تاريخى موجز لهذه الهجرات وسيكون هذا هو المحور الأول فى هذا البحث حتى نصل الى المحور الثاني وهو صلب البحث لاظهار المعالم الأثرية فى فلسطين عبر التاريخ من خلال عرض لبعض تلك المعالم التى تثبت للعالم أجمع أن حضارة قامت عبر عدة قرون لا يمكن لها أن تُمْحَى بقرار سياسى اتخذ فى غفلة من شعوب العالم الاسلامى.

---

(1) الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل مجير الدين الحنبلى ٢٣٩.

الفصل الأول

المعالم التاريخية والحضارية في مدينة القدس

ويتضمن:

- مقدمـــــــة
- المحور الأول: فلسطين والقدس عبر التاريخ
- الفتح الاسلامي
- المحور الثاني: المواقع الأثرية.

اعداد

دكتور ياسين سليمان المعانى ودكتور امين سعيد ابوليل

المحور الأول:

فلسطين والقدس عبر التاريخ:

يقول بعض علماء الآثارإنَّ هناك كثيرا من الأدلة والبراهين التى تؤكد أن الكنعانيين أصحاب اللغة العربية السامية استقروا فى فلسطين فى أوائل الألف الثالث قبل الميلاد حيث عثر أولئك العلماء على مدن كانت تحمل أسماء كنعانية ترجع الى الاسرة الخامسة المصرية فى سنة ٢٩٦٥ ق.م. كما وردت كلمات كنعانية فى المدونات المصرية فى القرن الثامن والعشرين ق.م والذى يعرف بالتاريخ المصري بعصر بناة الاهرامات وبذلك يكون الاجماع مؤكدا على أن الكنعانيين كانوا مستقرين فى فلسطين قبل نحو خمس آلاف سنة أو يزيد بالرغم من أنهم عاشوا فى دويلات صغيرة أو مدن محصنة شغلتها الحروب فيما بينها حتى أضطر بعض الكنعانيين الى التمركز فى سفوح جبال لبنان طلبا للأمن فظهرت أهم المدن الكنعانية على شواطئ البحر الأبيض المتوسط.

واستمرت حركة الهجرة فى المنطقة حتى إنه على امتداد أكثر من الف وثمانمائة سنة تعاقب الكنعانيون والمصريون والحثيون على حكم فلسطين قبل أن تطأها أقدام اليهود.

إلى أن جاءها الفلسطينيون فى أوائل القرن الثاني عشر قبل

الميلاد وتروى سجلات التاريخ انباء معركة بحرية نشبت بين الفلسطينيين والمصريين بقيادة الملك «رعميس الثالث» فى نحو الف ومئة وواحد وتسعين قبل الميلاد، ولما أخفق المهاجرون الفلسطينيون ارتدوا نحو الساحل الفلسطينى الجنوبى فى القسم الذى يمتد من غزة جنوبا الى اسفل يافا شمالا .

وقد أسس الفلسطينيون خمس مدن هى : غزة، وعسقلان (اسقلون) وجت واشدود وعكا (عقارون) وهى كلها مدن ساحلية عدا «جت» التى كانت تمتد قليلا الى الداخل وقد اندمج الفلسطينيون بالكنعانيين والعموريين الذين كانوا موجودين بالفعل فوق الأرض الفلسطينية حتى إن احد المؤرخين ذكر أن الفلسطينيين (تكنعنوا) خلال فترة زمنية تقل عن قرن ونصف القرن وهكذا يكون الفلسطينيون الذين سميت فلسطين باسمهم قد تواجدوا على هذه الرقعة من أرض الوطن العربى قبل أن يعرفها اليهود أو يكون لهم وجود عليها .

ولابد لى أن اتطرق الى العلاقة اليهودية بفلسطين من خلال ما ذكره الباحثون والعلماء ممن تخصصوا فى هجرات الأمم والشعوب وقد أجمعوا على أن اليهود ظهروا فى العراق زمن الكلدانيين وعلى وجه التحديد فى مدينة «أور» حيث نشأ ابراهيم واسحاق ويعقوب عليهم الصلاة والسلام وتحركوا ضمن حركة الهجرات التى سادت المنطقة فأقام فريق منهم فى الجزء الشمالى الشرقى من مصر أيام «رعميس الثانى» حيث عملوا زراعا لدى المصريين .

ونظرا لوظائفهم المتدنية فى مصر هاجر بهم موسى عليه الصلاة والسلام إلى طور سيناء ومنها إلى صحراء شبه الجزيرة المصرية حيث قضوا فيها سنين عديدة وكانوا قبائل منقسمة متقاتلة الا أن نيتهم لغزو فلسطين فى ذلك الوقت قامت بدور فى توحيدهم وعندما اختير داود ملكا على اليهود فى الفترة من ١٠٦١ ـ ٩٦٧ ق . م قام بغزو فلسطين حيث استولى على عدد من مدنها وقراها وبينها القدس (كايبوس) واتخذها عاصمة له واصبحت فلسطين مقسمة بين داود عليه السلام واتباعه من اليهود من ناحية والفينيقيين والعبرانيين من ناحية أخرى .

وفى سنة ٧٧٢ ق . م . قام الملك العربى الأشورى «سرجون» على القدس ودخلها المصريون سنة ٦٠٨ ق . م . وفى سنة ٥٨٦ ق . م استولى الكلدانيون بقيادة (نبوخذ نصر الثانى) على فلسطين وانهوا الممالك التى أقامتها اليهود على ترابها وأخذ اليهود أسرى الى بابل حيث بقوا هناك الى أن هيأ لهم سبل العودة الى فلسطين بعد أن احتلها كوروش فى نحو ٥٨٨ ق . م .

ثم توالت الغزوات على بلاد كنعان (فلسطين) حيث خضعت لحكم المقدونيين بقيادة الاسكندر الأكبر وبعدهم البطالسة ثم السلوقيين وهم من اليونانيين ثم الرومان الذين سيطروا على فلسطين بشكل نهائى فى عام ٣٨ ق . م . ، وفى عام ٣٧ ق . م . نصب الرومان «هيرودوس» ملكا على الجليل وبلاد يهوذا فاعتنق اليهودية وظل يحكم باسم الرومان حتى السنة الرابعة الميلادية .

وفى القرون الرابع والخامس والسادس اصبحت القدس تحت

النفوذ المسيحى وبنى الامبراطور قسطنطين الأول كنيسة القبر المقدس كما أنشأت أمه كنيسة القيامة ونستثنى من هذه الفترة أربع عشرة سنة خضعت فيها للفرس (٦١٤ ـ ٦٢٨م).

وقد أورد القس «تشارلزت برجمان» فى كتابة الى رئيس مجلس الوصاية بتاريخ ١٢/ ١/ ١٩٥٠م. الفترات السياسية التى مرت بها المدينة المقدسة حتى الفتح الاسلامي على النحو التالى: [١]

	مملكة داود الى سقوط اورشليم	١٠٥٠-٥٨٦ ق.م	٤٦٤ سنة
البابليون	من سقوط اورشليم الى سقوط بابل	٥٨٦-٥٣٨ ق.م	٥٠ سنة
الفرس	من سيروس الى الغزو المكدونى لفارس	٥٣٨-٣٣٢ ق.م	٢٠٦ سنة
الاغريق	من غزو الاسكندر للقدس الى تحرير المكابين لها	٣٣٢-١٦٦ ق.م	١٦٦ سنة
اليهود	الدولة المكابية	١٦٦-٦٣ ق.م	٩٣ سنة
الرومان	من الغزو الرومانى للقدس الى الغزو الفارسي	٦٣ ق.م-٦١٤م	٦٧٧ سنة
الفرس		٦١٤-٦٢٨م	١٤ سنة
الرومان	اعادة فتحها على أيدى البيزنطيين	٦٢٨-٦٣٧م	١١ سنة

(١) د. عفيف عبد الرحمن ـ القدس ومكانتها لدى المسلمين من أوراق المؤتمر الدولى الثالث لبلاد الشام ص ٢٢٦ نقلا عن الموسوعة البريطانية ص ١٠٠٩.

الفتح الإسلامي :

ارتبط المسلمون ببيت المقدس من خلال التوأمة مابين المسجد الأقصى أُولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين والمسجد الحرام فى مكة المكرمة فى رحلة الاسراء الى بيت المقدس التى توجه المسلمون اليها فى الصلاة اكثر من ستة عشر شهرا وذلك قبل أن يتجهوا الى المسجد الحرام بمكة وتقديرا لبيت المقدس وقداستها طلب الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه من قائده أبى عبيدة فتح بيت المقدس حتى دام حصارها أربعة أشهر وسلم زعماء المدينة يتقدمهم (صغرونيوس) طالبين الصلح على أيدى الخليفة عمر بن الخطاب وكانت العهدة العمرية التى اظهرت التسامح الاسلامى، ومنذ الفتح حظيت القدس بعناية الخلفاء والسلاطين اذ كانوا يعتبرون أن خدمتهم للقدس من خلال بناء المساجد والتكايا والزوايا والاربطة والسبل تقربا الى الله سبحانه وتعالى، ولهذا بدأ الاهتمام العمرانى فى المدينة فى عهد عمر بن الخطاب الذى أقام فى بيت المقدس عشرة أيام وقد أزاح القمامة عن موقع الصخرة المشرفة لتكون أول معلم اسلامى وتلاها مسجد عمر الذى بنى قبالة كنيسة القيامة وتوالت اهتمامات الخلفاء من أمويين وعباسيين وايوبيين ومماليك وعثمانيين حتى دخلها الجيش البريطانى بتاريخ ٩/ ١٢/ ١٩١٧م وعلى لسان جنرالهم «اللنبى» الذى قال بكل غرور اليوم انتهت الحروب

الصليبية وكانت بداية ظهور المؤسسات الصهيونية العالمية التى قامت بعون من بريطانيا على ترسيخ العدوان واحتلال الأرض فى حزيران سنة ١٩٦٧م وما أن دخلت القوات الصهيونية الى مدينة القدس حتى عملت على تهويد المدينة وتغيير معالمها كما قاموا بإزالة حي المغاربة بما فيه المساكن والمساجد الأثرية وعقارات وقفية تعود الى مئات السنين بحجة توسيع حائط البراق وحاولت اسرائيل صبغ المدينة بالطابع اليهودى من خلال وضع مخططات تطوير القدس وبقيت سادرة فى عدوانها على المقدسات الاسلامية والمسيحية حتى صدر قرار اليونسكو باعتبار القدس مدينة حضارية لانها حوت من الكنوز الأثرية ما لم تحتوه أي مدينة فى العالم وكان ذلك فى عام ١٩٨٢م .

المحور الثاني: المواقع الأثرية :

وسنعرض من خلاله لبعض المواقع الأثرية التى عنى بها المسلمون عبر عصور التاريخ المختلفة وقد اطلعنا على الدراسة التى تقدم بها الأردن الى اليونسكو عام ١٩٨٢ لاعتبار القدس مدينة حضارية وتضمنت الدراسة تقسيم المعالم الأثرية الى ثلاثة أقسام كل منها يُعنى بديانة من الديانات : القسم الأول للآثار الاسلامية والثاني للآثار المسيحية والثالث لبعض المواقع الأثرية التى شادها المسلمون تكريما لانبياء بني اسرائيل من خلال ايمانهم بقوله سبحانه وتعالى : ﴿ **لا نفرق بين أحد من رسله** ﴾ فكانت تلك المعالم التى بناها المسلمون حجة لليهود استغلوها بعد دخولهم

القدس عام ١٩٦٧ بأنها جزء من التراث اليهودي القديم .

وقد قسموا الآثار الاسلامية الى عدة أقسام حسب العصور ، فقبة الصخرة وقبة السلسلة والمسجد الأقصى من العصر الاموي والخانقاه، الصلاحية وقبة يوسف وجامع عمر وباب السلسلة من العصر الأيوبى ورباط علاء الدين البصير والرباط المنصوري وباب الغوانمة وسوق القطانين والمدارس الكاملية، والباسطية، والجوهرية والمزهرية والسبل مثل سبيل قايتباي من الفترات المملوكة المختلفة ومن الفترة العثمانية ذكروا بعض القباب مثل قبة الارواح وقبة الخضر وبعض السبل مثل سبيل باب المحكمة وسبيل بركة السلطان ومن الأبواب باب العامود وباب الساهرة وباب المغاربة .

ومن الزوايا الزاوية النقشبندية، والافغانية وسنحاول أن نعرض بعض المواقع الأثرية من خلال تاريخها لعلها تكون ذكرى لنا .

١ ـ المسجد الأقصى :

يشمل جميع مساحة الحرم القدسى الشريف وماتحويه الأسوار الحجرية الأربعة ويبلغ طوله ٨٠م وعرضه ٥٥م وهو المكان الذى أسرى اليه بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم وعرج به الى السماء من موقع الصخرة المشرفة الموجودة فى داخله . بناه الخليفة عبد الملك بن مروان سنة ٧٤هـ (٦٩٣م) ثم كمل بناءه ابنه الخليفة الوليد سنة ٧٠٥م .

٢ ـ قبة الصخرة المشرفة :

بنى الخليفة عبد الملك بن مروان ٦٩١م قبة الصخرة وقد اختلفت الآراء حول سبب بناء القبة من قبل الخليفة كما أنها من أجمل الابنية التى شادها المسلمون. وقد قام اليهود بجريمتهم الشنعاء وهي احراق المسجد الاقصى المبارك بتاريخ ٢١/ ٨/ ١٩٦٩ كما قاموا ومازالوا يقومون بحفريات تحت جدران المسجد مما يهدد بانهياره.

٣ ـ قبة سلمان :

قيل إنها انشئت فى العصر الأموى ولكن شكلها ذا الثمانى الاضلاع يوحى بأنها انشئت فى العصر الأيوبى وتقع هذه القبة شمالي قبة الصخرة المشرفة.

٤ ـ الكأس :

يستعمل هذا الحوض الرخامى والذى يتوسطه حوض صغير مع نافورة وصنابير ماء للوضوء، وقد أنشأ هذا الكأس السلطان العادل ابو بكر بن ايوب فى سنة ٥٨٩هـ.

٥ ـ منبر برهان الدين ويسمى قبة الميزان:

يقع فى صحن الصخرة المشرفة وقد أمر بانشائه قاضى القضاة برهان الدين بن جماعة فى سنة ٧٠٩هـ (١٣٠٩م) حيث كان منبرا خشبيا وحول الى منبر حجرى سنة ١٣٨٨م على يد محمد رشيد.

٦ ـ المدرسة الجاولية :

تنسب الى نائب القدس وناظر الحرمين الشريفين وقد اوقفها الامير علم الدين سنجر بن عبدالله الجاولى سنة ١٣١٢م فى عهد الملك الناصر محمد قلاوون، حيث إنَّ الامير علم الدين كان من محبى العلم فأنشأها لتكون مد رسة للحركة الفكرية فى القدس وقد حولت فيما بعد الى دار للنيابة والى دار للحكم وروضة والآن هى مدرسة ابتدائية تسمى المدرسة العمرية .

٧ ـ البيمارستان الصلاحي :

اقامه السلطان صلاح الدين الأيوبى سنة ١١٨٧م بعد تحرير القدس من الاحتلال الصليبى وعين له كبار الأطباء حيث كان اشبه بكلية طب حيث تدرس فيه علوم الطب ويستعمل للمعالجة .

٨ ـ الخانقاه الصلاحية :

انشئت ايضا بعد تحرير السلطان صلاح الدين القدس من الصليبيين وكان لها الأثر الفكرى فى المدينة المقدسة وكذلك اثرها فى التصوف .

٩ ـ باب الاسباط :

وله اسماء عدة / باب ست مريم/ باب القديس استفانوس وهو من العصر العثمانى وله صفات معمارية اسلامية حربية .

١٠ ـ باب الخليل ١٥٣٩م:

ذكره المقدسي باسم باب محراب داود ويسمى أيضا بباب يافا، وقد بنى فى الفترة العثمانية .

١١ ـ جامع عمر بن الخطاب:

انشئ هذا الجامع فى المكان الذي صلى فيه الخليفة عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ فى القدس وبعد الفتح الاسلامى للمدينة حيث رفض الخليفة عمر بن الخطاب أن يصلى فى ساحة كنيسة القيامة حتى لا يقيم المسلمون مسجدا فيها .

الفصل الثانى

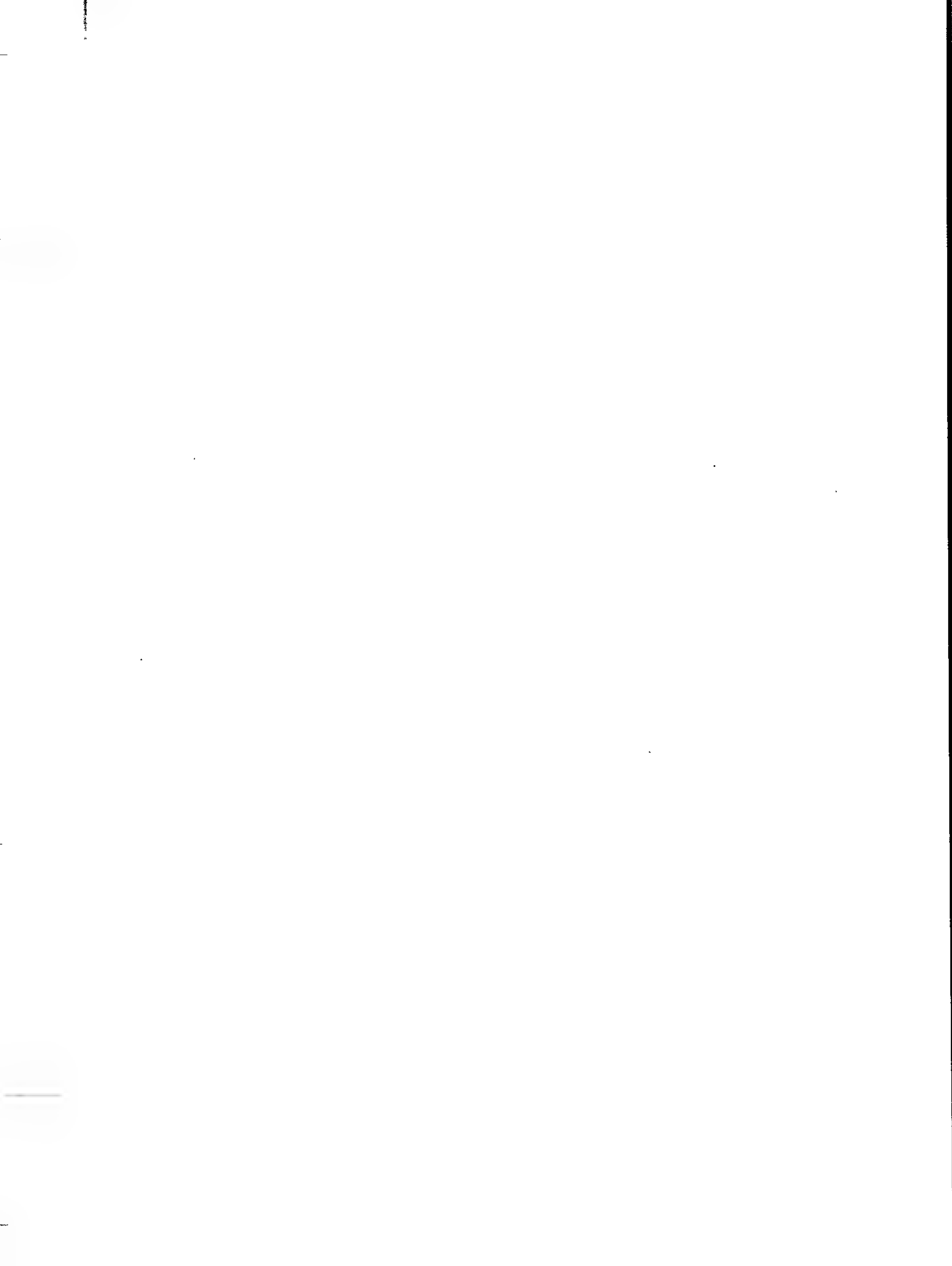
القدس فى ضوء الأوضاع الراهنة واستشراف المستقبل

ويتضمن:

- مقدمـــــة
- زيارة ميدانيـــة
- عــزل القدس
- المستوطنات الحديثة
- عدد العرب فى القدس
- موقع القدس الفريد
- الهدف من هذه الدراسة
- الوضـــع الحالى
- استشراف مستقبل القدس

بقلم

د. حازم نسيبه



مقدمة

هذا البحث هو مساهمة من اجل مناهضة الصهيونية واطماعها فى المدينة المقدسة وما أفدحها وما أشدها ايلاما على كل نفس مؤمنة بالله خالق الأكوان وبالقدس قلب عروبتنا واولى القبلتين فى عقيدتنا ومسرى ومعراج محمد صلى الله عليه وسلم وثالث الحرمين الشريفين فى مقدساتنا الاسلامية، وأعز موئل ومهبط وقيامة للسيد المسيح امير المحبة ورسول السلام، ومنبت الديانة الموسوية السماوية كما كانت فى جوهرها وليست كما ارادها احبار اليهود مرتكزا ومنطلقا للشوفينية العرقية القائمة على أساس التفرد والتفرق ونظرية شعب الله المختار التى اضفوها على شعبهم اليهودى عبر التاريخ فظلوا قلة منعزلة منطوية على ذاتها وفى وضع مضاد ومتعارض مع سماحة التعايش ورحابته التى تؤمن بها سائر الأديان السماوية .

اجل هذه العقيدة العدوانية الاستعلائية العرقية المتعصبة هي التى تقف وراء الهجمة الاستيطانية الجامحة الماحقة التى لا تتحرج فى الاعلان الصريح عن اهدافها دون مواربة أو تحسب، وفى تنفيذ ماينطوى عليه ذلك الاعلان على ارض الواقع الا وهو تحويل بيت المقدس الى عاصمة ابدية لاسرائيل على حساب سائر الأديان والأقوام الأخرى وهو ماحققته الى حد بعيد حتى الآن هذه المدينة الموغلة فى الأصالة والقدم، الفريدة فى جمالها ونضارتها وهوائها وتاريخها وتسامحها وروحانيتها منذ بناها الملك اليبوسى

السامى العربى الملك صادق، هذا الصالح التقى المعاصر لجد الانبياء ابراهيم عليه السلام، مهددة بكل تاريخها ومقدراتها ومعالمها ومقدساتها وسكانها وتسامحها وخصوصيتها ورسالتها العالمية الى الناس كافة تهديدا ماثلا لكل ذى عين.

زيارة ميدانية:

لقد قمت فى ثالث يوم من ايام عيد الفطر المبارك ١٤١٥هـ بزيارة الى بيت المقدس استمرت عشرة أيام تعمدت خلالها ـ كما هو دأبى فى كل زيارة سابقة قمت بها ـ الاطلاع على دقائق الأوضاع القائمة فى المدينة المقدسة من جميع جوانبها الجغرافية والبشرية والسياسية والاقتصادية والنفسية، مستهدفا فى ذلك كله قياس المدى الذى وصلت اليه اسرائيل فى برامجها ومخططاتها الاستيطانية والتهويدية وطمس الهوية والتراث العربى والاسلامى العريق فى ربوعها، وان ما سأقوله فى هذا البحث ليس كلاما انشائيا هدفه اثارة الحمية أو تبسيط الهمم أو جلد الذات، وإنما هو وصف موضوعى دقيق لما آلت اليه الأوضاع الجغرافية والعمرانية والاقتصادية والسكانية والثقافية بعد نيف وسبعة وعشرين عاما على احتلالها، ان الصورة التى سأرسمها قاتمة شديدة القتام والحلكة بالنسبة لعروبة المدينة وسلامة وبقاء أهلها بعد أن سيطر الاستيطان وما يزال على كل بقعة من بقاعها وكل معبر من معابرها وكل جبل من الجبال والتلال الراسية التى تشكل معلما من معالمها الطبغرافية والطبيعية التى نعرفها، ينطبق هذا القول على معابرها الشرقية وبعمق يكاد يكون متصلا مابين القدس ومدينة اريحا بما

فى ذلك جبال ووديان وسهول الخان الاحمر ومنطقة النبى موسى حيث يدور التعليق الساخر المرير الذى يبديه الاهلون بان اسرائيل وافقت على اعطائنا ممرا لزيارة هذا المزار والمسجد لأداء شعائرنا الدينية، زرت اريحا مرتين وكنت فى كل مرة الاحظ التغييرات الجديدة التى طرأت على جانبى تلال ووهاد الطريق مابين القدس واريحا، أول مايرى فى معابر اريحا مستوطنة تشرف على سهول اريحا التى تقع تحتها، وقد زرع مستوطنوها بعض اراضيها باشجار الموز والاعناب المعرشة، ثم تصعد متوجها الى القدس فترى الى اليسار وبعمق لا يرى من الطريق مدينة صناعية فى سهول الخان الاحمر، ومستوطنات على قمم الجبال الى اليمين من الطريق، وتستمر صعودا نحو القدس حتى تصل الى بدايات مباني ومنشآت مايسمى بمستوطنة معالي اوديم وهي فى حقيقتها مدينة كبيرة تغطى الجبال المؤدية الى القدس على جانبي الطريق وقد كانت حتى مجرد عام أو عامين تغطى الجانب الايسر وحده من جبال الطريق، انها مدينة كبيرة كما قلت أقيمت على عشرات آلاف الدونمات معظمها صودرت من قرية العيزرية وتعتزم اسرائيل مواصلة التوسع والتسمين فيها حتى تصبح رابع مدينة من حيث الحجم فى اسرائيل.

عزل القدس:

لماذا دخلت فى هذا التفصيل الذى قد لا يستوعبه من لا يعرفون المنطقة سابقا وهم الغالبية؟ السبب هو التأكيد المرير بان جميع المناطق الواقعة الى الشرق من القدس ومابين القدس

واريحا قد اصبحت مغطاة تغطية كاملة بسلسلة متصلة من الاستيطان بحيث اصبحت تلقى بظلالها القاتمة الكالحة على كامل المنطقة التى لم يكن لليهود فيها أي وجود على الاطلاق حتى احتلال عام ١٩٦٧م.

المعنى الاستراتيجى لما ذكرت هو اتمام عزل القدس عن سائر المشرق العربى واعماق العالم الاسلامى بحيث لا يمكن الوصول اليها الا عبر تواجد مدنى وعسكري اسرائيلى كثيف بغض النظر عن أية تسويات أو حلول يتحدثون عنها، ذلك ان اسرائيل قد تعمدت خلال ربع القرن الماضى منذ احتلالها للقدس الشرقية وضع العالم امام امر واقع لا يمكن زحزحته أو الإلتفاف عليه مهما كانت النوايا أو الاوضاع، لقد اشترك فى هذا الأمر الواقع الجاثم على صدورنا الحزبان الحاكمان اللذان تعاقبا على الحكم خلال فترة الاحتلال وان كان حزب الليكود اكثر جرأة وصراحة واستهتارا فى اعلان نواياه عندما أعلن مؤسسه مناحيم بيجن عندما كان رئيسا للوزراء عام ١٩٧٩م، حيث قال إننا سنترك على الاراضي وضعا لا يمكن لاحد بما فى ذلك من يتعاقبون على الحكم فى اسرائيل تغييره أو النيل منه.

المستوطنات الحديثة:

لقد كان لليهود مستوطنات ومستعمرات من مختلف الانماط إبان الانتداب البريطانى على فلسطين، ولكنها فى غالبيتها كانت مستوطنات زراعية عسكرية متواضعة فى احجامها وفى قدراتها،

أما مانراه اليوم فيختلف اختلافا جوهريا عن سلفه بالأمس، انه يتمثل فى مدن وقلاع ومنشآت مبنية من الحجر الفلسطيني الصلب المشهور وببذخ وكلفة لا تستطيع سوى قدرات اليهودية العالمية على تحملها وليس له مثيل فى اسرائيل نفسها فيما وراء خط الهدنة الاخضر. رأيت على سبيل المثال لا الحصر مبانى شاهقة تغطي اكثرمن نصف اراضى المسكوبية فى قلب القدس التى لا يعرفها سكان القدس القدامى عندما كانت تضم من بين ما تضم المحاكم النظامية فى فلسطين إبان الانتداب.

قيل لى وقد رأيتها وإن كنت فى حاجة الى مزيد من تأكيد ما سأقوله رقميا انها كلفت (٢٥٠)، مائتين وخمسين مليون دولار، وتتوسطها ساحات عامة للإحتفالات تبرز مثيلاتها فى اشهر عواصم العالم بما فى ذلك لندن، وقيل لى ايضا ان تيدى كوليك رئيس البلدية الذى بادر بالمشروع آنئذ قد جمع هذا المبلغ الهائل باتصالات هاتفية مع اغنياء يهود العالم ولم يجد أية صعوبة فى جمع تكاليف هذا الانشاء عندما كان يتسابق هؤلاء على التبرع لانشاء بلدية اورشاليم وهو حلم ابدوا استعدادهم لإخراجه الى حيز الواقع بكل غال وثمين، هذا فى الوقت الذى جمد فيه عبر ربع قرن من الزمان أى عمران أو بناء عربي يستحق الذكر بسبب الافتقار لأية مساعدات عربية أو إسلامية وبسبب القيود الجائرة والتعسفيه التى فرضتها اسرائيل على مجمل الوجود العربى فى المدينة المقدسة بما فى ذلك تجميد العمران وفرض حالة من الاختناق والحصار والتطويق عليه، لقد اصبح الاهلون يقولون فى

تعليق ساخر مرير ان ما تبقى لهم بعد التسارع الجنونى فى عمليات تهويد مدينة القدس هو الحى الباقى أو حارة المسلمين التى يأخذ الوجود اليهودى بتلابيبها من كل جانب، بل انه قد اصبح يجثم على صدرها مباشرة فى بعض الاحياء كحى الشيخ جراح الذى لم تعد تعرف معالمه بعد ان جثت على صدره احياء اشكول والتلة الفرنسية ومبانى فى منطقة قرية العيسوية، ومبانى حرس الحدود الاسرائيلية التى اكتمل بناؤها اخيرا على ارض عربية مصادرة مساحتها ٢٥ الف متر مربع، وفندق حياة ذو (٧٥٠) غرفة ومبانى الجامعة العبرية ومستشفى هداسا التى تغطى معظم مواقع جبل سكوبس ثم مباني سان هادريا المواجهة للشيخ جراح، واخيرا وليس آخرا الطريق العريضة التى يزيد عرضها على ستين مترا وذات ست مسارب فى قلب القدس العربية بدءا من الملعب البلدي فى الشيخ جراح ومخترقا ا راضي عربية مصادرة ثم مرورا بشارع سانهدريا على بعد بضع مئات الامتار من منزل عائلتى المقابل، والذى سيشيد مقابله على الارض الفسيحة التى كانت منطقة حرام مابين ١٩٤٨ و١٩٦٧، ثلاثة فنادق يهودية ضخمة بمجموع غرف يتراوح مابين (٢٥٠ ـ ٣٠٠) غرفة لكل فندق منها، وقد حصل اصحابها قبل اسابيع على رخص لمباشرة تنفيذها والتى سوف تغير معالم المنطقة تغييرا كاملا، ثم تواصل الطريق العريضة سيرها عبر حى المصرارة العربي وحتى باب الخليل عند اسوار القدس الغربية، ومن ثم الى الاحياء العربية الغربية التى اغتصبتها اسرائيل عام ١٩٤٨ .

لا أظن ان اية مدينة أو عاصمة قائمة فى العالم تسمح ببناء مثل هذا الطريق العريض فى قلبها على حساب المباني والمساكن والحقوق القائمة عليها لولا أن اسرائيل تجد فيها مغنما لأنها تتم بمصادرة أراضى غيرها من اصحابها العرب .

لم يكن لاسرائيل فى القدس حتى عام ١٩٦٧ ، سوى (٥٠٠) غرفة فندقية ، أما اليوم فقد تجاوزت الغرف الفندقية لديها (١٥,٠٠٠) غرفة ، وهي الآن كما أعلنت رسميا بصدد رفعها الى (٣٠,٠٠٠) غرفة فندقية لتتسع لملايين السياح الأجانب الذين بلغ عددهم فى عام ١٩٩٣ مليونى سائح ، والذين يتوقع اليهود أن يتضاعف مرات ومرات بعد الاتفاقات التى تم التوصل اليها فى العامين الماضيين ، أما الغرف الفندقية العربية والتى كانت تفوق ما لدى اليهود فقد ظلت فى حدود الـ(١٠٠٠) غرفة فى القدس العربية .

عدد العرب في القدس :

والجدير بالذكر أن أسجل هنا ان اسرائيل قد وضعت مرتكزا من مرتكزات سياستها تجاه القدس أن لا تزيد نسبة السكان العرب فى بيت المقدس واكنافها عن ٢٦٪ من مجموع السكان بحيث يظل اليهود يشكلون ثلاثة ارباع سكان المدينة وضواحيها. هذه سياسة مقررة تتبعها إسرائيل بكل صراحة وبجميع الوسائل الممكنة حيث انها لا تسمح بجمع شمل أى مقدسى ، أو عودته الى مدينته ، والحالات الوحيدة التى سمح فيها لا تتجاوز اصابع اليد وبقرار من

لجنة وزارية خاصة، بالاضافة الى تقييد العمران والخنق الاقتصادى والعزل الجغرافى.

ولعل من المهم ان اذكر فى هذا المقام ايضا موضوع الطوق الأمنى الذى فرضته اسرائيل على الضفة الغربية وقطاع غزة قبل عام ونيف والذى تجدد فرضه ابان اقامتى فى القدس قبل اسابيع بعد مجزرة الخليل الهمجية، لقد تذرعت اسرائيل عندما فرضت هذا الطوق لاول مرة قبل اكثر من عام بأن الهدف منه هو حماية السكان اليهود من حملة الطعن بالخناجر التى تشنها المقاومة الفلسطينية والعربية والاسلامية، والحقيقة كما تبين منذ تطبيق ذلك الاجراء ان الهدف الحقيقى منه هو عزل مدينة القدس عن سائر مدن وقرى فلسطين بحيث يصبح ذلك الطوق بمثابة حدود ثابتة وضعتها اسرائيل فى مخططاتها ونفذتها على ارض الواقع بحيث تريد ان تقول لأهل فلسطين بان الحدود المفتوحة التى نتجت بعد حرب ١٩٦٧ لا تشمل مدينة القدس التى تعتبرها اسرائيل عاصمتها الأبدية، وان أى كيان فلسطينى قد يتم الاتفاق على اقامته يجب ان يتوقف عند مشارف بيت حنينا شمالا والعيزرية شرقا وبيت لحم جنوبا واسرائيل غربا، لقد هز اسرائيل رؤية ربع مليون مصلى مسلم ايام الجمعة وخاصة فى شهر رمضان المبارك يأتون كل اسبوع للصلاة فى المسجد الاقصى المبارك من كل حدب وصوب ومن كل ارجاء فلسطين بما فى ذلك فلسطين عام ١٩٤٨م التى اصبحت اسرائيل والتى يبلغ سكانها العرب نحو مليون نسمة، انها من خلال طوقها الامنى تريد ان تقول لأهل

فلسطين ان اداءكم لفرائضكم الدينية فى الحرم القدسى الشريف ليس حقا طبيعيا، مقدسا كما تعتقدون وانما هي منحة تمنحها أو تحجبها عنكم اسرائيل وفق رغبتها، عندما اديت صلاة الجمعة فى المسجد الاقصى المبارك لم يكن عدد المصلين يتجاوز الـ(١٥,٠٠٠) الفا جلهم بطبيعة الحال من اهل القدس ومن تمكن من التسلل اليها من القرى المجاورة أو حصل على اذن خاص ليس سهل المنال، ولا حاجة الى القول بان سكان القدس العربية شعروا وعانوا نتيجة الطوق الامنى المفروض على الضفة الغربية وقطاع غزة بالعزلة والحصار والكساد الاقتصادي والمعاناة المعنوية بعد ان عزل اهلها عن حقهم الطبيعى فى سائر انحاء فلسطين المحتلة، فأين حرية الوصول الى الأماكن المقدسة التى يتحدثون عنها، وكيف يستقيم حال أى وطن اذا قطع رأسه عن جسده، وهو ماحدث نتيجة قطع القدس عن سائر المناطق.

واذا كان ذلك القطع قد عزل القدس العربية عن محيطها وعمقها الجغرافي - بل وحتى عن أقرب القرى المحيطة كالعيزرية وابو ديس اللتين كانتا تعتبران ضمن مدينة القدس بل هما احياء من القدس نفسها، فانه فى الوقت ذاته وبزخم لا يقل شدة تم عزل الضفة الغربية وقطاع غزة عن عاصمتها الطبيعية القدس، واللتين ترتبطان بها ارتباطا عضويا لا انفصام له فى كل أنشطة الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية والاعلامية والطبيعية وغيرها.

مستشفى المقاصد الاسلامية فى الطور على جبل الزيتون على سبيل المثال هو المستشفى الرئيسي المؤهل لا للقدس وحدها

ولكن للضفة الغربية بمجموعها نظرا للنقص الخطير فى توفر مستشفيات عربية متكاملة التجهيز فى سائر أرجاء الضفة والقطاع، لقد أدى فرض الطوق الامني الى حجب العناية الطبية المتكاملة عن اعداد كبيرة من المحتاجين لها المستفيدين من تجهيزاتها الفنية للعمليات المعقدة وغسل الكلى وغيرها. وعندما كنت فى القدس مؤخرا تعطلت الدراسة فى عدد كبير من مدارس القدس لأن اساتذتها ومعلماتها لم يتمكنوا من المجئ الى القدس بسبب الطوق الامنى الذى قد يستمر اسابيع وشهورا، وكذلك الحال بالنسبة للصحف والمجلات والانشطة الثقافية الاخرى التى تصدر فى القدس بسبب عدم تمكنها من ايصال تلك الصحف الى قرائها فى سائر انحاء فلسطين واذا ضبط مواطن فلسطينى ولو كان مقدسى المنشأ ولا يحمل هوية القدس الاسرائيلية فإنه يعرض نفسه للسجن والغرامة معا وهو ماحدث للكثيرين.

موقع القدس الفريد :

والقدس ليست العاصمة السياسية والروحية لفلسطين فحسب ولكنها ايضا وبموقعها الجغرافى الفريد الذى حباها الله به تشكل المعصم والمفتاح للسيطرة على فلسطين كلها نظرا لوقوعها على سلسلة الجبال المتوسطة التى تشكل الطريق المميزة بين الشمال والجنوب والشرق والغرب، كما أنها الطريق المباشر الاقصر عبر آسيا الصغرى . إنَّ وضعا تكون فيه القدس معزولة ومقطوعة عن سائر ارجاء الضفة الغربية وقطاع غزة بل وسائر فلسطين؟ يعنى بكل بساطة تقطيع اوصال الديار الفلسطينية، فإذا أراد رئيس بلدية نابلس فى الشمال ان يجتمع مع رئيس بلدية الخليل أو بيت لحم فى الجنوب وكانت القدس ممنوعة عليهم فانه يتوجب على كل منهم النزول الى وادى الاردن والدوران حول القدس دورة كبيرة ليتمكنا من الاجتماع معا، بينما الامر الطبيعي هو الالتقاء فى رحلة ساعة أو اقل فى القدس نفسها، فكيف يمكن لأية سلطة فلسطينية أداء واجباتها باعتبارها كيانا موحدا وليس ككنتونات مبعثرة ممزقة بدون القدس؟ ومن هنا يجب الإصرار القاطع على وجوب معرفة مصير القدس منذ البداية وليس تعليق هذا المصير الى مراحل لاحقة كما تريد اسرائيل لفرض أمر واقع مازالت حتى هذه الساعة وبغض النظر عن جميع ماجرى ترسمه على الطبيعة بمبانيها ومنشآتها وطرقها ومصادراتها، وحيث فوات الاوان وليت ساعة

مندم، واذا كان زعماء الصهيونية يعلنون بأنه لا معنى لإسرائيل بدون القدس ولا معنى للقدس بدون الهيكل، فان ردّنا القاطع الذى لا يمكن التخلى عنه انه لا معنى لفلسطين بدون القدس ولا معنى للقدس بدون الاقصى الذى بارك الله حوله.

هذه حتمية دينية روحية اسلامية وطنية استراتيجية جغرافية حياتية لا تقوم لفلسطين قائمة فى غيابها مثلما يتألم المسلمون والمسيحيون فى صميم عقيدتهم ان هم حرموا من درتهم القدس عروس فلسطين، وهناك تيارات صهيونية خبيثة تتبناها احيانا جهات غربية يساء استغلال ايمانها المسيحى بحيث تصبح اداة فى تحقيق اطماع الصهيونية على حساب العرب والمسلمين، أذكر على سبيل المثال لا الحصر ماقاله قبل ايام استاذ مستشرق فى احدى جامعات الولايات المتحدة من ان ابنته انضمت الى حركة (New - Born Again) المسيحية البروتسانتية وقالت لابيها انه يجب بناء هيكل فوق المسجد الاقصى بحيث يصبح المكان مقدسا لمختلف الاديان (Inter-Denominational) فشرح لها والدها ان هذا المكان مقدس لمليار مسلم وانه لا يجوز الاعتداء عليه أو محاولة تغيير وضعه ليصبح ملتقى جميع الاديان، ومثل آخر يستحق الذكر فى هذا المقام، وهو ان مستشرقا امريكيا متخصصا بالفنون والمعمار الاسلامى فى صدد وضع كتاب عن قبة الصخرة المشرفة سوف يحاول فيه التشكيك بان الآية الكريمة ﴿ **سبحان الذى اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله** ﴾ صدق الله العظيم، تشير الى المسجد

الاقصى فى مدينة القدس، على اساس أنه لا ذكر لمدينة القدس تحديدا فى هذه الآية الكرَيمة أو غيرها.

بديهى وطبيعي اننا سوف نستخف مثل هذا الرأى النشاز وخاصة اننا مطلعون على السيرة النبوية العطرة والتاريخ الاسلامى الذى احتلت القدس فيه مكان الصدارة، وبسيرة الصحابة الذين كانوا فى الطليعة فى تبجيلهم لمدينة القدس واقامتهم فيها منذ صدر الاسلام، ولكن عندما يقرأ العالم الغربى الذى لا يعرف شيئا عن تاريخنا سوى القلة منه مثل هذه المقولة الخطيرة المغازي والابعاد وخاصة عند ماتصدر عن البروفسور جروبار فانه يكون أكثر تقبلا واندفاعا عندما تحاول الصهيونية غسل دماغه بالنسبة للمسجد الاقصى المبارك.

وموقعه الذى يعتبره اليهود جبل الهيكل. لذا فإن واجبنا أن نكون مستعدين للرد على مثل تلك التخرصات التاريخية والعَقَديَّة لأنها هى التمهيد الكلامي والعَقَديَّ الذى تقف وراءه الصهيونية العالمية للإعتداء على قبلة المسلمين الأولى.

يتم ذلك كله فى الوقت الذى تشير فيه آخر الإحصاءات بأن عدد المسيحيين العرب الذين يسكنون القدس قد انكمش الى مجرد أربعة آلاف مواطن عربى مسيحى بسبب التضييق والتعسف الإسرائيلى واستئثار الإسرائيليين بالمرافق والانشطة الإقتصادية للمدينة المقدسة. فهل ستصبح كنيسة قيامة السيد المسيح والكنائس والاديرة والمعابد المسيحية العريقة متاحف يؤمها السياح الأجانب ولا تعود أماكن للعبادة تنبض بالحياة بسبب

الاغتراب الفلسطيني المسيحي عنها؟ إنه لمن دواعي العجب أن نرى القوى المسيحية العربية المؤثرة فى العالم تحابي اليهود والإستيطان اليهودي فى فلسطين باسم المسيحية بينما نراها تغض الطرف عن مأساة اغتراب المسيحيين الحقيقيين الأصليين أنفسهم فى القدس وفلسطين الذين هم أصل المسيحية منذ وجودها على امتداد ألفي عام.

الهدف من هذه الدراسة :

إن الهدف من هذه الدراسة هو القيام فى ضوء الأوضاع الراهنة واستشراف المستقبل، وحتى نتمكن من الإجابة على هذا السؤال الكبير يتعين علينا العودة الى تحديد ماذا نعنى بالقدس؟ وأية مدينة هى التى نتحدث عنها؟

إننا نعرف المدينة كما جاءت فى تعريف قرار الأمم المتحدة لها رقم ١٨١ والذى يفصل حدود مدينة القدس حيا حيا كما يذكر بالتفصيل البلدات والقرى والبلديات التى كانت ستقوم لو نفذ برنامج تدويل مدينة القدس والبلدات التابعة لها. ولكن ذلك المشروع ولد ميتا وإن ظل مثبتا فى قرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة كونه أحد المراجع القانونية لوضع القدس ولكن يمكن لأهداف بحثى هذا أن أقسم القدس الى قدسين هما: القدس القديمة التاريخية المسورة العريقة المعروفة بمساجدها ومآذنها وكنائسها وأديرتها ومبانيها التاريخية التى تعود الى مئات السنين إن لم يكن آلافها والتى تتميز بطابع معماري أخاذ يأخذ بالألباب.

إن انطباعي عن القدس القديمة ضمن الأسوار هي أنها ولله الحمد، وعلى الرغم من كل محاولات الإستيلاب والمصادرة الإسرائيلية مدينة عربية فى جوهرها ومبانيها وسكانها. كنت أتمتع بالمشى بها كل يوم خلال زيارتي الأخيرة وهي ساحرة لا مثيل لها لأنها تمثل عبق التاريخ وعظمة التراث، إنها فريدة فى طرازها الذى يمثل العهود الإسلامية المتعاقبة عبر ١٤ قرنا من الزمان، إنها كريمة بأهلها وكم كانت سعادتى خلال مشاويرى اليومية من باب العامود الى سويقة علون الى خان الزيت الى سوق القطانين الى كنيسة القيامة وحارة النصارى وباب الخليل عند القلعة عندما كنت أتوقف عند دكان هنا ومتجر هناك حيث أعرف أصحابها أو هم يوقفوننى لمعرفتهم بي ويلحّون عليّ قائلين : لم أطلت الغياب ومتى ستعود الى القدس! على كل حال فإنها كما قلت مازالت عربية الوجه واللسان تماما ولم أصادف بها أي يهودى ربما تخوفا من حملة السكاكين التى تشنها المقاومة، وإن كانت مليئة بالسياح الأجانب من جميع الأجناس ومن جميع أنحاء العالم. والأهل بأصالتهم يعاملونهم بود مما أدخل الثقة الى نفوسهم.

وقد شكا رئيس بلدية القدس اليهودية الجديد أولمرت علنا وهوصهيوني متطرف ينتمي الى الليكود ـ شكا بمرارة بأنه قد مضى عامان لم يتمكن خلالهما أي يهودي من زيارة البلدة القديمة.

ولكن هذه الصورة الزاهية المطمئنة لا يجب أن تحجب عن أنظارنا الوجود اليهودي الكثيف من خلال الحي اليهودى الذى وسعه اليهود توسيعا كبيرا على حساب الأحياء العربية التاريخية.

وهى : حى المغاربة وحي شرف وماحولهما من أماكن كانت عربية فهدمت لتوسيع ساحة حائط المبكى ولإنشاء حي يهودي كبير من الفلل المبنية من احسن أنواع الحجر والتى تطل على ساحة الحرم الشريف .

لقد ذكرت إحدى النشرات أن عدد اليهود فى البلدة القديمة يبلغ خمس آلاف نسمة ، ولا شك أن هذا هو الحي الذى يستوعب الاعداد الكبيرة من اليهود كما يشير الى ذلك الرقم ، يضاف إليه وعلى غير انتظار او توقع تواجد يهودى وان كان صغيرا مبعثرا هنا وهناك فى منزل بالقرب من دار الأيتام الإسلامية ، ومنزلا عند مخرج باب السامرة مقابل زاوية الهنود وعند عقبة الخالدى وفى أماكن متفرقة أخرى قليلة ، إن اليهود يحاولون بكل الوسائل الممكنة التسلل الى البلدة القديمة كما فعل شارون عندما أخذ منزلا من غير أصحابه لأنها كما يدرك الجميع هي القدس المقدسة التاريخية الأصلية .

وإذا كنا عاجزين عن وقف الاستيطان اليهودى خارج الأسوار والذى سأتطرق إليه فإن من واجبنا أن نركز كل جهودنا واهتماماتنا ومواردنا للحفاظ على الطابع العربى والإسلامى الشامخ الذى تتسم به مدينة القدس القديمة والذى يقف فى قمته الحرم القدسى الشريف الذى يشغل ربع مجموع مساحة القدس القديمة ، لا يستطيع اليهود جلب جرافات لهدم مبانى وأسواق هذه المدينة العريقة المكتظة كما يفعلون فى الأراضى العربية التى تقع خارج الأسوار ، خاصة وأن المدينة القديمة تعج بسكانها وحياتها الدينية

والإقتصادية والإجتماعية النشطة.

يجب ان نكون على استعداد للدفاع عن كل بيت أو زاوية أو دكان أو سوق يحاول الإسرائيليون الاستيلاء عليه شراء من غير صاحبه الفعلى أو تزويرا أو تسللا كما فعلوا فى عدد غير قليل من الحالات، إن القدس القديمة لا تقدر بثمن وإذا حصل أى تهاون فى الحفاظ عليها فإننا نكون قد مكنا إسرائيل من تنفيذ هدفها بجعل القدس عاصمتها الأبدية، أما إذا نجحنا فى الإحتفاظ بالوجود العربى والإسلامى فيها فإننا نكون قد احتفظنا بالقدس التاريخية المسورة وبغض النظر عن التطويق الرهيب الذى يحيط بها إحاطة السوار بالمعصم.

الوضع الحالى :

بالنسبة للقدس الكبرى خارج أسوار البلدة القديمة فإن الوضع فيها وحولها قد وصل الى مرحلة عدم العودة، وبعض الأرقام والحقائق تعطينا مؤشرات على ما أقول :

* أولا : لقد اصبح المستوطنون اليهود فى القدس العربية التى احتلت عام ١٩٦٧ والتى لم تكن تضم يهوديا واحدا قبل الاحتلال، أغلبية عددية فى القدس الشرقية والشمالية المحتلة آخر الأرقام تشير الى ان عدد المستوطنين اليهود فى القطاع الشرقى المحتل من القدس بلغ (١٥٥,٠٠٠) ألفا مقابل (١٥٠,٠٠٠) ألف عربى، وغنى عن التذكير بإن القدس الغربية التى احتلتها إسرائيل عام ١٩٤٨ والتى كان العرب يملكون معظم احيائها لا

تضم عربيا واحدا منذ احتلالها، فأين الشرعية من هذا كله وأين قرارات مجلس الأمن المتعددة بشأن القدس وقرارات الجمعية العامة واتفاقيات جنيف الرابعة لعام ١٩٤٩ الخاصة بحماية السكان المدنيين تحت الاحتلال والتى تعتبر كل ماتم من استيطان وانتقال للسكنى من مواطنى الدولة المحتلة الى الأراضى المحتلة عملا غير قانوني ولا تترتب عليه أية حقوق أو ادعاءات، وكيف يستقيم وضع يصبح فيه مواطنو الدولة المعتدية نتيجة الإستيطان أغلبية فى الأرض المحتلة كما أصبح الحال فى القدس الشرقية!

* ثانيا: لقد أدت المصادرات الشاسعة للأراضى المحتلة ـ فى مدينة القدس وأكنافها وضواحيها والبلدات والقرى المحيطة بها واستيطانها استيطانا يهوديا كثيفا ـ إلى وضع لم يعد فيه الأمر ممكنا لأي عربى أو حتى غير عربى باستثناء اليهود ومؤسساتهم الرسمية، من اقتناء أي أرض لأي غرض من الأغراض مهما بلغ الثمن أو المال.

نعم لقد صادرت سلطات الإحتلال جميع الأراضي المتاحة فى القدس الكبرى، وأنشأت عليها مجموعة متصلة من المدن والبلدات تحيط بالمدينة من كل جانب، مستوطنة جيلو الى الجنوب الغربى من بيت لحم والقدس وعلى أراضى مصادرة من بلدة بيت جالا هي مدينة كبرى تمتد على مدى البصر فى اتجاه الغرب وتغطى سلسلة متواصلة من الجبال والوهاد رأيتها بنفسى فى الزيارة الأخيرة، لا يمكن أن تسمى جيلو مستوطنة لأنها مدينة مترامية بكل مافى الكلمة من معنى، وينطبق نفس الشئ على ماكان

يسمى بمستوطنة معالى ادوميم الى الجنوب الشرقى من القدس وهى فى الحقيقة مدينة كبيرة جدا مبنية لكل مابني فى منطقة القدس من أفخر أنواع الحجر وفيها أحدث وأشمل المرافق العامة من شوارع وكهرباء وماء وحدائق وما الى ذلك.

هذه القدس الكبرى الموسعة والتى يجرى توسيعها على قدم وساق ودون توقف بغض النظر عن أية اتفاقيات، أصبحت تشكل مابين خمس الى ثلث الضفة الغربية بكاملها.

وحسبى أن أذكر أن مساحة الضفة الغربية الإجمالية لا تتجاوز (٥٥٠٠) خمسة آلاف وخمسمائة كيلو متر مربع صادرت اسرائيل منها حتى الآن نحو ٥٥٪ من أراضيها تحت ذرائع وأوامر عسكرية شتى بما فى ذلك الاستيلاء على أراضي الدولة التى تعتبرها لها، علما بأن غالبيتها أراضى تملكها مشاعا ومشاركة مجموعات القرى والبلدات المحيطة بها.

هذه القدس الموسعة فى جميع الاتجاهات أصبحت الآن تضم المستوطنات والبلدات والأحياء. إنها رسم للخارطة السياسية التى تريدها إسرائيل لمدينة القدس ومصيرها على أرض الواقع:

كانت حدود بلدية القدس فى الماضي تقف شمالا عند قرية شعفاط المطلة على القدس والمجاورة لحى الشيخ جراح، أصبح للإسرائيليين الآن الى الشمال من القدس حلقات متصلة من الإسكان الكثيف أبعد كثيرا من شعفاط بدءا من عتروت ـ قلندية وهي مطار القدس الدولي قبل الإحتلال، وقد أقيمت بجواره مدينة صناعية.

ويتواصل الخط الاستيطانى جنوبا باتجاه القدس مرورا بالنبي يعقوب تلك المنطقة التى وسعت وأصبحت مدينة كاملة. وبجانبها الى الجنوب الشرقي مدينة كبيرة أخرى تطل على قرية حزمة العربية الى الشمال الشرقى من القدس، ثم راموت الى الشمال الغربى من القدس قرب قرية النبى صمويل التى هدمت منازلها، ثم مستوطنة أناتوت على أراضي قرية عناتا العربية، ثم التلة الفرنسية التى كانت تعرف بكرم لويس على المشارف الشمالية للقدس حيث أقيم حى كبير مشرف على الشيخ جراح، ويجرى الآن إقامة جسر معلق (Over pass) لربط هذه الأحياء الإسرائيلية بالقدس الغربية لاستعمال اليهود بينما يستعمل العرب الطريق الحالية تحته، ثم رامات أشكول القديم والجديد اللذين بنيا على جانبى حى الشيخ جراح غربا وشرقا بحيث لم يعد من السهل التعرف على حى الشيخ جراح العربى كونه حيا قائما بذاته بعد أن أغرقته الأحياء اليهودية المحيطة به من كل جانب، وبعد أن غيرت معالمه ومعابره ومخارجه بشبكات الطرق التى تصل المدن والأحياء الإسرائيلية الجديدة بالقدس الغربية، وقد أتم اليهود فيه كما رأيت فى زيارتى الأخيرة بناء عمارة ضخمة على أرض خلة نوح العربية لتكون قيادة مركزية لقوة حرس الحدود وهى التى تستخدم فى قمع المواطنين العرب.

أما جبل سكوبس المطل من الشرق على القدس وحيث توجد مباني الجامعة العبرية ومستشفى هداسا القديمان فقد جرت عليهما توسيعات هائلة على حساب أراضي جبل الزيتون وقرية العيسوية

العربية بحيث أصبح المجمع الموسع مسيطرا على منطقة جبل الزيتون برمتها.

أما الحدود الشرقية الفعلية - لا البلدية أو الرسمية للقدس الكبرى - فهى كما ذكرت تبدأ من الخان الأحمر فى منتصف الطريق بين القدس وأريحا، والحدود الجنوبية هى مشارف بيت لحم وبيت جالا حيث شيد اليهود مدينة كبرى هى جيلو وتقع بين قرية بيت صفافا وبيت حالا والمالحة جنوب جبل المكبر، وقد قطعتها بالسيارة وهي تمتد غربا على مدى البصر، ومدينة معالى أدوميم التى تحدثت عنها بدءا من الخان الأحمر وحتى القدس وبيت لحم.

أما من ناحية الغرب فيمكن أن نبدأ بوصف خارطة الإستيطان من قرية عمواس الكبيرة بجانب دير اللطرون على الطريق بين القدس ويافا التى هدمها اليهود عام ١٩٦٧ وبنوا عليها ما أسموها بحديقة كندا. وتستمر المستوطنات فى اتجاه القدس ورام الله مرورا بالقرى العربية بيت يالو وبيت عور التحتا وبيت عور الفوقا وبيت إكسا والنبى صمويل وبيتونيا حتى مشارف الشيخ جراح.

إن اسرائيل لم تهدم معظم هذه القرى ولكنها عزلتها وأنشأت بجوارها مستوطنات إسرائيلية كبيرة. كما أنها أتقنت إتقانا رهيبا فن تقطيع الأوصال وعزل المدن والقرى العربية عن بعضها بعضا وعن مناطق الاستيطان الإسرائيلية بسلاح ماض مبتكر لا أظن أن له مثيلا فى العالم أجمع. سلاح بناء الطرق وتخطيطها هو سلاح

استراتيجي يحقق لإسرائيل تقطيع أوصال المناطق الفلسطينية فى الوقت الذى يتيح لها ربط المدن والبلدات والمستوطنات بعضها ببعض وبإسرائيل نفسها بشبكة محكمة الاتصال تتفادى المرور بمناطق التواجد العربي الفلسطينى بل وبعزل ذلك التواجد بحيث يصبح غير مرئي إلا لمن يعتزم الذهاب اليه، إنه مستوحى من تراث اليهود القائم على نظرية الجتو وهي عزل اليهود عن غير اليهود حتى ولو كانوا فى مدينة واحدة.

استشراف مستقبل القدس:

لقد توسعت فى ذكر تفصيلات وذكر أسماء مدن وقرى وبلدات ومستوطنات ربما لا تعنى الكثير إلا لمن يعرف أصولها أصلا. ولكننى فعلت ذلك إجابة على التساؤل الأساسى الذى ينطوي عليه موضوع بحثى ألا وهو استشراف مستقبل القدس، إن هذا المستقبل فى المدى القريب على الأقل ـ (وقد قلت هذا مرارا وتكرارا منذ أواسط السبعينات أمام مجلس الأمن والأمم المتحدة ومختلف المحافل الدولية) ـ هو مايحاول اليهود استلابه وتقريره من جانب واحد بواسطة الجرافات وأدوات وموارد الاستيطان الهائلة بحيث يتركون أمرا واقعا جديدا لا يستطيع أحد تغييره لا بالضغط الدولي ولا على طاولة أية مفاوضات ثنائية أو متعددة، لقد رسمت اسرائيل الخارطة التى تريد وهى تطلب منا الآن توقيعنا عليها، وغنى عن القول أنه لا يمكن إقامة سلام عادل ودائم على أسس فاضحة من الاغتصاب والنهب والامر الواقع المفروض،

ومع ذلك فإن واجبنا المؤكد هو مواصلة النضال دون هوادة للاحتفاظ بما تبقى لدينا على قلته فى القدس واكنافها وعلى الأخص فى القدس التاريخية التى تحيط بها الأسوار لأن فيها كل تاريخنا وكل تراثنا وأولى قبلتنا ومسرى رسولنا صلى الله عليه وسلم. واننى لعلى يقين بأننا لن نتقاعس فى ذلك حتى يبدل الله حالا بحال وتعود القدس خالصة لآلها كما كانت عبر العصور والدهور طال الزمن أم قصر.



الفصل الثالث

القدس في عصبة الأمم وهيئة الأمم المتحدة

ويتضمن:

١ ـ مقدمـــــة.
٢ ـ الاحتلال البريطاني.
٣ ـ وعد بلفور.
٤ ـ تعاون حكومة الانتداب مع أطماع الصهيونية
٥ – حائط المبكى أثر اسلامي.
٦ ـ مساندة أمريكا للصهيونية.
٧ ـ الوسيط الدولي.
٨ ـ قضية تدويل القدس
٩ ـ اسرائيل تستولى على القدس كاملة
١٠ـ رفض اسرائيل لقرارات المنظمة الدولية.
١١ـ اسرائيل تعلن مشروع القدس عاصمتها الابدية.
١٢ـ استهزاء اسرائيل بقرارات المنظمة الدولية.
١٣ـ رفض العرب والمسلمين أية تسوية لا تتضمن اعادة القدس للسيادة العربية.
١٤ـ الخاتمة

اعـداد

فايز جابر

امين عام اللجنة الملكية الاردنية لشؤون القدس



مقدمـــة

اكتسبت مدينة القدس عبر تاريخها أهمية دينية وحضارية وروحية فريدة بحكم علاقتها بالاديان السماوية الثلاثة وآثارها وبالنسبة للمسلمين، يسجل الفتح العمرى للقدس عام ١٥هـ/ ٦٣٧م بداية السيادة الفعلية للعرب المسلمين عليها، والتي لم تنقطع طوال الاربعة عشر قرنا الماضية باستثناء فترة الحروب الصليبية/ نحو مئة عام مابين ١٠٩٩ ـ ١١٨٧م و١٢٢٩ ـ ١٢٣٩م والاحتلال البريطاني ١٩١٧ ـ ١٩٤٨، ثم الاحتلال الاسرائيلي منذ العام ١٩٦٧.

وقد حرر العرب المسلمون مدينة القدس دون الحاق أي أذى بسكانها أو مبانيها، وسمحوا لاتباع الديانتين المسيحية واليهودية بحرية العبادة وحرية الاقامة فيها وتعتبر «العهدة العمرية» وثيقة لا مثيل لها في السماحة والعدل ولا سيما أنها وضعت قبل أي اعلان لحقوق الانسان بأربعة عشر قرنا[١].

ولا يعرف على وجه الضبط متى سمحت السلطات الاسلامية لليهود بالصلاة خارج الحائط المؤدي للحرم الشريف، حائط المبكى، ولكن من المرجح أن ذلك تم بشكل تدريجي لا يكاد

---

(١) انظر نصها المكتوب على رق من الجلد عرضه شبر وطوله ستة أشبار في المقريزي تقي الدين احمد بن على بن عبد القادر المعروف بالمقريزي، كتابه «المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار».

يدركه المؤرخ المدقق بالعقل أو الحس، ودون تفويض رسمي، وذلك نتيجة التسامح الاسلامي الذي لم يمنع اليهود من البكاء والصلاة عند اعتاب ثالث الأماكن المقدسة في الاسلام بعد الحرمين الشريفين[1] وبفضل سماحة العرب والمسلمين، وبالتدريج، لم يتشدد الحكام العرب في مئع اليهود من زيارة القدس وسكناها، كرغبة البطريرك صفرونيوس الى عمر ـ رضي الله عنه ـ في ان لا يساكن أهل ايلياء «القدس» أحد من اليهود.

وكذلك بفضل سماحة الحكام المسلمين، يسُمحَ لليهود الذين طردهم الصليبيون طردا كاملا من مدينة القدس بالعودة إليها، وممارسة زيارتهم على الوجه القديم.

وخلال الحكم المصري في بلاد الشام (١٨٢٢ ـ ١٨٤٠)، صار اليهود السفارديم الذين لجأوا إلى الممالك العثمانية بعد طرد المسلمين من الأندلس، رعايا عثمانيين، وشكلوا غالبية اليهود في القدس، وحولوا الكنيس الوحيد الذي أقيم فيها، بسماح وحماية السلطات الاسلامية، إلى أربعة كنس، يظلها سقف واحد، واعترفت السلطات العثمانية بحاخامهم ليكون ناطقا باسمهم. في حين شكل اليهود الاشكنازيم الذين قدموا من بروسيا والنمسا وبولندة وروسيا، أقلية صغيرة يحتفظ افرادها بجنسياتهم ويتمتعون بالامتيازات الأجنبية لدولهم، وخاصة بعد افتتاح أول قنصلية بريطانية في القدس التي كان من مهامها (تقديم الحماية لليهود عموما).

---

(١) A.L. Tibawi Jerasalem its Palce in Islam & Arab History I.P.S. Beirut 1969 P. 24

وفي خريف العام ١٨٣٩ قام اليهود بمحاولة اكثر طموحا للحصول على حق مكتسب في حائط المبكى، وذلك حين طلب القنصل البريطاني في القدس السماح لمحمييه اليهود بتبليط الرصيف الكائن أمام الحائط، وكان قد أنشئ لمرور سكان محلة المغاربة وغيرهم من المسلمين في ذهابهم الى مسجد قبة الصخرة ومن ثم الى الحرم الشريف. وبما أنه ليس لليهود حقوق في ذلك المكان، وأن مرورهم الى الحائط في ايام معلومة ليس إلا من قبيل التسامح الذي ابداه نحوهم المسلمون، ولذا فلا يستطيع اليهود أن يستعملوا هذا التسامح كونه وسيلة لتقديم مطالب بحقوق مطلقة. فالسماح لهم بالمرور الى الحائط، هو من قبيل التسامح فقط.

وقد انسجم ابراهيم باشا مع هذه الحقيقة التاريخية حين رد على طلب اليهود، بإصدار مرسوم يقضي بمنعهم من تبليط رصيف حائط البراق، مع اعطائهم حق الزيارة (على الوجه القديم) وترافق صدور المرسوم مع احتجاج شديد عبر عنه شيخ محلة (حارة) المغاربة. ومعلوم أن أرض الحرم خارج باب المغاربة هي وقف اسلامي وقفه الملك الأفضل ابن صلاح الدين الأيوبي عام ٥٨٩هـ/ ١١٩٣م، لجهات البر والخير. وبمرور الوقت اصبحت هذه المحلة ملاذ الحجاج والعلماء المغاربة، ثم وقفا عليهم مع زاوية المجاهد أبي مدين الغوث. وكتب شيخ المغاربة في احتجاجه أن حارة المغاربة مجاورة لحائط الحرم الشريف الذي نزل فيه النبي صلى الله عليه وسلم، ومر به ثم ربط براقه في الحائط نفسه ليلة أسرى به الى القدس. وذكر شيخ المغاربة بأن

اليهود قد يُسمحَ لهم بزيارة الرصيف الكائن أمام الحائط ماداموا يتصرفون باحتشام ودون رفع الأصوات. وقال إن اليهود في السنوات الأخيرة كانوا يأتون بأعداد كبيرة، ويسببون الضيق برفع اصواتهم كما لو كان المكان كنيسا. والآن هم يريدون تبليط الأرض وذلك خطوة نحو تحقيق أهدافهم النهائية[1]. والفقرة الأخيرة تعكس النظر الثاقب لشيخ المغاربة في ذلك الوقت المبكر، حيث أدرك بحصافته البعد الاحتلالي الحقيقي الذي يكمن وراء مساعي اليهود الحثيثة لاثبات حق لهم في الحائط الغربي، تمهيدا للاستيلاء تدريجيا على الأماكن المقدسة الاسلامية، وطرد العرب من القدس وفلسطين.

---

(١) Tibawi, op. citl., p. 25

الاحتلال البريطاني :

لقد ساعد الاحتلال العسكري البريطاني المخطط الصهيوني لاحتلال القدس عن طريق تعزيز الوجود اليهودي فيها، والحيلولة دون أي توسع عربي محتمل في القدس القديمة التي تضم الأماكن المقدسة[1]. وذلك تكملة للمرحلة الاولى التي بدأت في منتصف القرن الماضي، وتمثلت في تزايد الهجرة اليهودية الى فلسطين، بحيث ارتفع عدد الجالية اليهودية بالقدس الى نحو ١٤ ألفا عام ١٨٨٧. و٢٠ الفا عام ١٨٩٠، و٢٨ ألفا عام ١٨٩٥، ووصل عددهم إلى ٤٨ ألفا عام ١٩١٢. ثم تقلص عددهم في نهاية الحرب عام ١٩١٨. ومعظمهم قدموا بدوافع دينية بحتة، للمعيشة قرب الاماكن المقدسة، معتمدين على تبرعات أبناء الجاليات اليهودية في الشتات، ولا سيما بعض الأفراد والأسر الموسرة والجمعيات اليهودية، مما ساعد على تحسن أحوال اليهود في القدس، فبدأوا في إقامة أول الأحياء الجديدة خارج أسوارها عام ١٨٥٩، بدعم دؤوب من السفير البريطاني في استانبول وفي وجه

---

(١) قسم الجنرال اللنبي مدينة القدس الى أربع مناطق. البلدة القديمة واسوارها. والمناطق المحيطة بالبلدة القديمة. القدس الشرقية (العربية)، القدس الغربية (اليهودية)، وحظر البناء في المناطق المحيطة بالبلدة القديمة. ووضعت قيود على البناء في القدس الشرقية (العربية)، في حين سمح بتطوير منطقة القدس الغربية (اليهودية). انظر للمزيد سمير جريس (القدس) مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت ١٩٨١، ص ٢٣، نقلا عن مصدر رسمي بريطاني.

معارضة عثمانية، مستهلا الدور الذي تابعته بريطانيا بعد احتلال فلسطين. واصبح الحي اليهودي نواة للجزء اليهودي من القدس الذي أخذ بالامتداد المخطط له بدقة، ليحكم الطوق حول المدينة المقدسة خلال العقود التالية[1].

وواجه العرب مخططات تهويد القدس في ثورة ١٩٢٠، ولا سيما ثورة ١٩٢٩ اللتين حفزتهما أساسا سياسة الهجرة، وكان سببهما المباشر محاولة الاخلال بنظام الوضع الراهن في ادارة الاماكن المقدسة بالقدس، لتسهيل الكشف عن (حائط المبكى)، وهو بزعم اليهود ماتبقى من الهيكل الثالث الذي بناه الملك هيرود الكبير، ودمره تيطوس عام ٧٠م. وادركت عصبة الأمم مدى حساسية ادارة الأماكن المقدسة للديانات السماوية الثلاث، ولكنها لم تستطع لا هي ولا الحكومة البريطانية في أعقاب الحرب العالمية الأولى أن تتوصلا إلى ترتيبات أفضل للأماكن المقدسة من نظام (الوضع الراهن) أو (الوجه القديم)، الذي سار عليه العرب والمسلمون بعد الفتح العمري للقدس. ولذا فقد اتفق على ادراج مضمونه في صك الانتداب.

وتعزز تنفيذ المخطط الصهيوني الموضوع للقدس وفلسطين مع تعيين الحكومة البريطانية هربرت صموئيل (الصهيونى) أول مندوب سام لفلسطين، واستهلال مرحلة الانتداب الذي منحته

(١) انظر تفاصيل ذلك في سمير جريس، مرجع سابق، ص ٢٠-٢٢. وانظر أيضا روحي الخطيب (الاجراءات الإسرائيلية لتهويد القدس بين ١٩٦٥ و١٩٧٥)، مجلة شؤون فلسطينية، بيروت، العدد ٤١-٤٢ للعام ١٩٧٥، ص ١٠٠.

عصبة الأمم لبريطانيا لادارة البلاد، بموجب المادة (٢٢) من ميثاق العصبة، وقد صيغت مواده بعناية بالاتفاق مع الصهيونية، ومن وراء ظهر الفلسطينيين. ومعلوم أن صك الانتداب ينطوى على تعسف وظلم، وتحريف للمادة (٢٢) من وجهين: أولهما أنه بدل تنفيذ الهدف الأساسي للمادة (٢٢) القاضى بتطوير الحكم الذاتي، وتقديم العون لفلسطين لتقف على قدميها لتكون دولة مستقلة، فإن الانتداب أضاف هدفا ثانيا يطالب الدولة المنتدبة بتنفيذ تصريح بلفور (وهو صهيوني بريطاني) الذي وصف بأنه تضمن وعدا من شعب لشعب بمنحه بلدا يسكنه شعب ثالث ورتب عليها مسؤولية «جعل البلاد في أحوال سياسية وادارية واقتصادية تكفل إنشاء الوطن القومي اليهودي» (المادة ٢). ولتنفيذ هذا الهدف، طلب من حكومة فلسطين أن تسهل الهجرة اليهودية. وثانيهما ان الانتداب انحرف اكثر عن المادة (٢٢) التي توقعت أن يتركز دور الدولة المنتدبة على تقديم النصح والمساعدة الادارية. ولكن الدولة المنتدبة منحت بدلا من ذلك، «السلطة التامة في التشريع والادارة» (المادة١). وواضح أن بريطانيا كانت بحاجة الى مثل هذه السلطات، لتفرض على الفلسطينيين بقوة السلاح تنفيذ تصريح بلفور، وتكثيف الهجرة اليهودية الى بلادهم في الأراضي الزراعية (المادة ٦) وتوطين المهاجرين. وتسهيل حصولهم على الجنسية الفلسطينية (المادة ٧).

ونصت المواد ١٣ و١٤ و١٥ على أن الدولة المنتدبة تتولى المحافظة على الحقوق المتصلة بالأماكن المقدسة، وضمان

الوصول اليها وحرية العبادة، وتكون مسؤولة أمام عصبة الأمم عن كل مايتعلق بذلك، مع تحقيق الحرية الدينية التامة لقيام جميع الطوائف بشعائر العبادة بشرط المحافظة على النظام العام والآداب[1].

وعد بلفور:

لقد أتاح تصريح بلفور وصك الانتداب ظروفا جديدة للصهيونية لإرساء قواعدها في فلسطين، عن طريق تنفيذ استراتيجية ثلاثية ترمي الى مضاعفة الهجرة اليهودية، وزيادة استملاك الاراضي الزراعية، وإحكام السيطرة على مرافق البلاد الاقتصادية.

ولم يكن موضوع (الوضع الراهن) للأماكن المقدسة غائبا عن مخططات الصهيونية، تستخدمهما لحفز همم اليهود، وجعل أطماعهم فيها تبدو اكثر عقلانية، وخاصة اذا كان حائط المبكى يرمز لهما كونه أثرا قائما يجسدهما في نظر العالم. وقد استخدمت الصهيونية هذه الرمزية لتبرير اغتصابها للقدس (العربية)، ولإخفاء أهدافها الاستعمارية والاستراتيجية الحقيقية. ولا تزال الصهيونية تستخدم (رؤيا صهيون)، وتسعى لاستغلال المشاعر الدينية لغير اليهود في الغرب. وايهامهم بأن اغتصاب اسرائيل للقدس

(١) انظر نص صك الانتداب في ملاحق كتاب أحمد طربين (محاضرات في تاريخ قضية فلسطين)، معهد الدراسات العربية العالية، القاهرة ١٩٥٩ ص ٢٠٨ـ٢١٦.

العربية، يقتضيه الانتماء الى التراث اليهودي ـ المسيحي، وينبغي التسليم به ومساندته. وهي تعي تماما ما لهذا الاستخدام العلماني من أثر إعلامي ونفسي عميق في تحقيق سيطرتها الكاملة على القدس، التي اعلنت منذ حرب حزيران/ يونيو ١٩٦٧م أن موضوعها غير قابل للتفاوض. ومن هنا تركيز جهودها على حائط المبكى، ومحاولاتها المستميتة للإخلال بالوضع الراهن، منذ بداية الانتداب البريطاني لفلسطين، حيث تذرعت بأسلوب تحريض المصلين اليهود على إحضار الكراسي والمصابيح والستائر، لتغيير الوجه القديم والوضع الراهن عند الحائط، واحداث سابقة ينطلقون منها الى الادعاء بحق ملكية الأرض التي يضعون عليها ما أحضروه من الأدوات والمستحدثات. ولكن العرب تنبهوا الى هذه الأساليب والوسائل الملتوية، ورفعوا احتجاجاتهم الى الحكومة المنتدبة التي استمرت اتصالاتها بهذا الشأن مع المجلس الاسلامي الأعلى مابين ١٩٢٢ ـ ١٩٢٩.

تعاون حكومة الإنتداب مع اطماع الصهيونية:

وشعورا من اليهود بمساندة الحكومة المنتدبة لهم، فقد تابعوا بثقة أكبر محاولاتهم، وفي كل مرة كان متولي وقف المجاهد أبي مدين الغوث، يقدم شكوى إلى مفتي القدس الذي كان يحولها الى الحكومة. وفي مناسبتين هامتين أصدرت الحكومة (١٩٢٥ و١٩٢٨) قرارات تمنع إحضار الأدوات والمستحدثات، ولكنها في العام ١٩٢٨ لم تخول السلطات ازالتها، ونبه مفتي القدس، رئيس المجلس الإسلامي الأعلى، الحكومة المنتدبة الى أن الهدف الذي يسعى اليه اليهود، لم يعد تأمين العادة القديمة من حيث الوصول الى الحائط نفسه. وقال إن العرب يتخوفون من الحملة اليهودية والصهيونية، الرامية الى التأثير على الحكومة البريطانية والحكومات الأخرى وعصبة الأمم، بقصد امتلاك الحائط، أو إثارة دعاوى حول المكان نفسه[١].

ويذكر أن المفتي قدم اثني عشر احتجاجا مكتوبا ضد محاولات اليهود تغيير (الوضع الراهن)، وتحويل مجرد السماح (بالصلاة) الى (حق)، ليس فقط للمرور الى الحائط، وانما أيضا لامتلاكه في النهاية، وذلك على الرغم من انكارهم أية خطط موضوعة لامتلاك المسجد الاقصى تماما كما كانوا ينكرون دائما خططهم

---

(١) Tibawi, op. cit., pp. 34, 35

الرامية إلى اقامة دولة يهودية. واستمر الصراع بينهم وبين المسلمين على الحائط حتى صيف العام ١٩٢٩، حين حاولوا، - مسلحين بالعطف البريطاني - تغيير الوضع الراهن فيما يتعلق بحائط المبكى، فكانت ثورة البراق التي استفزت المسلمين، ونبهتهم الى الخطط الصهيونية المبيتة، ووقعت صدامات في القدس وسائر انحاء فلسطين، انحازت فيها قوى الأمن والجيش البريطاني الى جانب اليهود.

وحضرت لجنة شو (Shaw) للتحقيق في الاضطرابات، فأوصت بإرسال لجنة دولية للتدقيق في حقوق المسلمين واليهود في حائط المبكى، أو البراق كما يعرفه الفلسطينيون. وأقر مجلس عصبة الأمم تشكيل لجنة من ثلاثة أعضاء برئاسة إليل لوفغرن (Eliel Lofgren) وزير خارجية السويد حينذاك وعضوية شارلس بارد، رئيس محكمة العدل في جنيف (سويسرى)، وس. فان كمين، عضو البرلمان الهولندي. واستمعت اللجنة الى شهود من العرب واليهود بفلسطين، وطلبت من الطرفين ابراز البينات الوثائقية التي في حوزتهم والتي تدعم وجهة نظرهم، وبعد شهر كامل عقدت فيه ٢٣ جلسة اتبعت فيها الاصول القضائية في بريطانيا، توصلت اللجنة الى التوصيتين الهامتين الآتيتين اللتين شكلتا وثيقة دولية في غاية الخطورة:

(أ) للمسلمين وحدهم تعود ملكية الحائط الغربي، ولهم وحدهم الحق العيني فيه لكونه يؤلف جزءا لايتجزأ من ساحة

الحرم الشريف التى هى من أملاك الوقف.

«وللمسلمين أيضا تعود ملكية الرصيف الكائن امام الحائط وأمام المحلة المعروفة بحارة المغاربة المقابلة للحائط لكونه موقوفا حسب أحكام الشرع الاسلامي لجهات البر والخير»

«ان أدوات العبادة أو غيرها من الأدوات التي يحق لليهود وضعها بالقرب من الحائط، إما بالاستناد إلى أحكام هذا القرار أو بالاتفاق بين الفريقين. لا يجوز في حال من الأحوال أن تعتبر أو أن يكون من شأنها إنشاء حق عيني لليهود في الحائط أو في الرصيف المجاور له».

(ب) «لليهود حرية المرور الى الحائط الغربى لإقامة التضرعات في جميع الأوقات مع مراعاة الشروط الصريحة المشار اليها». (وتتضمن الشروط أدوات العبادة التي يسمح باستخدامها في مناسبتين فقط، وفي الاحوال العادية لا يجوز جلب أية أدوات إلى جوار الحائط[1].

وصادقت الحكومة البريطانية على الأحكام والتوصيات، كما وافقت عليها عصبة الأمم، وصدرت في شكل قانون نشرته الجريدة الرسمية للحكومة المنتدبة (حزيران/ يونيو ١٩٣١).

---

(١) انظر تقرير اللجنة الدولية المقدم الى عصبة الأمم عام ١٩٣٠، نشرته مؤسسة الدراسات الفلسطينية في كتاب بعنوان: (الحق العربي في حائط المبكى في القدس) بيروت ١٩٦٨.

حائط المبكى أو البراق أثر اسلامي عريق

نستنتج مما تقدم أن اللجنة انطلقت في حكمها من أن حائط المبكى ـ البراق ـ أثر اسلامي، بما فيه الرصيف المقابل والمنطقة الملاصقة له داخل المدينة القديمة، وانه ملك عربي ووقف إسلامي أبدي، وأنه ليس لليهودية إلا مجرد الزيارة الى الحائط. بل إن هذا المرور مصدره التسامح العربي الاسلامي، ولا ينطوي على أي نوع من أنواع الملكية لليهود مهما كانت، وتحكمه حدود العرف والتقليد، بحيث لا يمارس إلا بشروط معينة يقبل بها العرب والمسلمون، سواء من حيث وقت الزيارة أو كيفيتها، بل من حيث مايجوز لليهود أن يحملوه الى الحائط من أدوات العبادة.

وبعد تفاقم الهجرة اليهودية في منتصف الثلاثينات، ونشوب الثورة العربية الكبرى في فلسطين ردا عليها، قدمت لجنة تحقيق ملكية، انتهت الى توصية بتقسيم فلسطين الى دولتين يهودية وعربية، ووضعت مدينة القدس تحت نظام دولي خاص، باعتبارها (أمانة مقدسة في عنق المدينة)، وتشمل المنطقة الممتدة من شمالي القدس حتى جنوبي بيت لحم مع ممر بري إلى يافا، على أن التقسيم أمام ضراوة الثورة العربية التي استمرت ثلاث سنوات (١٩٣٦ـ١٩٣٩)، ومع نشوب الحرب العالمية الثانية، عادت قضية القدس الى اطارها لكونها جزءا من القضية الفلسطينية.

مساندة أمريكا للصهيونية :

ولكن الولايات المتحدة التي برزت بعد الحرب الثانية كونها دولة عظمى سياسيا واقتصاديا حلت محل بريطانيا في مساندة الصهيونية. وبفضل الضغوط الأمريكية تشكلت اللجنة الخاصة لفلسطين (U.N.S.C.O.P.) ١٥ آيار/ مايو ١٩٤٧، لدراسة القضية الفلسطينية والنظر في مستقبل الحكم بفلسطين، ولم تُجدْ مقاطعة عرب فلسطين للجنّة، اذ قدمت تلك اللجنة هذه تقريرها الى الجمعية العامة، وقد تضمن خطة أقرتها غالبية اللجنة بتقسيم فلسطين إلى دولتين عربية ويهودية، وإقامة كيان منفصل (Corpus Separatum) يضم كامل مدينة القدس وضواحيها[١]، ويخضع لنظام دولي خاص يديره مجلس وصاية نيابة عن الأمم المتحدة[٢]، باعتبار أن ذلك هو (الحل الأمثل للحفاظ على الأماكن المقدسة). أما الخطة التي أقرتها الأقلية، فاقترحت إنشاء دولة فيدرالية تتألف من دولتين عربية ويهودية وعاصمتها القدس. رفض ممثل الهيئة العربية العليا لفلسطين تقرير اللجنة الخاصة

---

(١) انظر في نهاية البحث خارطة تدويل القدس بحسب قرار الجمعية العامة (١٨١) القاضي بتقسيم فلسطين وتدويل القدس (٢٩ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٤٧).

(٢) انظر قرارات الأمم المتحدة بشأن فلسطين والصراع العربي الاسرائيلي) للسنوات ١٩٤٧ـ ١٩٨٠ وهي سلسلة الكتب السنوية، تضم قرارات الجمعية العامة ومجلس الأمن ولجنة حقوق الإنسان وسواها من اجهزة الأمم المتحدة. إصدار مؤسسة الدراسات الفلسطينية ـ بيروت. ومركز الوثائق والدراسات ـ أبو ظبي. وسنعتمد عليها في سياق البحث لتوثيق قرارات الجمعية العامة، ومجلس الأمن، ولجنة حقوق الإنسان.

بمشروعه لأن مشروع الأقلية أيضا يدور في نطاق التقسيم وينتهي إليه. وقال إن حقوق عرب فلسطين وميراثهم قد تعرضا لما لا يقل عن ثمانية عشر تحقيقا خلال ربع قرن، ولم تزد كلها إلى شئ. ولهذا السبب وغيره ليس عجيبا أن تمتنع الهيئة العربية العليا عن الظهور أمام اللجنة[1].

أما اليهود فقد قبلوا توصية التقسيم التي تمت المصادقة عليها في الجمعية العامة (٢٩ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٤٧) بغالبية ٣٣ صوتا ومعارضة وامتناع ١٠ أصوات، وذلك بفضل المساعي الامريكية الحثيثة خاصة. داخل الأمم المتحدة وخارجها. واعترف جيمس فورستال (Forrestal) وزير الدفاع في حكومة ترومان بذلك في قوله «إن الرسائل التي استخدمها أناس خارج الفرع التنفيذي من الحكومة لقسر بقية الأمم وإكراها في الجمعية العامة قد قاربت الفضيحة[2]. وقبل اليهود كذلك تدويل القدس تنفيذا لخطتهم المرحلية في إنشاء دولة يهودية على جزء من فلسطين، ثم التوسع واستكمال الاحتلال في فرص قادمة.

ومع نهاية الانتداب البريطاني على فلسطين (١٥ آيار/ مايو ١٩٤٨)، بدأ الهجوم اليهودي على المدينة القديمة، بقصد احتلالها واحياء عاصمة الدولة اليهودية التي اختفت قبل أكثر من

---

(١) أنظر كلمة جمال الحسيني أمام اللجنة المؤقتة Ad Hoc للأمم المتحدة (٢٩ ايلول/ سبتمبر ١٩٤٧). أحمد طربين (قضية فلسطين ١٨٩٧ - ١٩٤٨) ج٢ ص ٨٥٦-٨٥٨ دمشق ١٩٦٨.

(٢) أنظر للمزيد من تصريحات فورستال في هذا الشأن كتاب فورستال. Millis Walter, (ed), The Forrestal Diaries, N.Y. 1951,pp. 180,324,357.

٢٥٠٠ عام. ولم تستمر موحدة إلا سبعين عاما ولكن اهالي القدس بالتعاون مع جماعات من جيش الانقاذ والجهاد المقدس، تمكنوا من الدفاع عما تبقى من الأحياء العربية خارج السور، والصمود أمام القوى اليهودية، إلى أن دخل الفيلق الأردني مدينة القدس بعد نهاية الانتداب البريطاني، لانقاذ أهلها من مذبحة مماثلة لمذبحة دير ياسين في ضواحي القدس الغربية (٧ نيسان/ ابريل ١٩٤٨)، وتعاون مع المقاتلين العرب على صد الهجوم اليهودي وارغام اليهود على الاستسلام، ثم القيام بهجوم معاكس على القوات اليهودية خارج السور حيث اوشك العرب أن يحققوا نصرا ساحقا عليها، لولا أن أوقفت بريطانيا تزويد القوات الاردنية المتقدمة بالعتاد الحربي بدعوى نفاده وفرض مجلس الامن هدنة بدأت فى ١١ حزيران (يونيو) لمدة اربعة اسابيع انتهك اليهود شروطها لجلب المزيد من القوات والعتاد والمؤن من أوروبا والولايات المتحدة، فرجحت كفتهم وعاودوا الهجوم.

وبعد اعلان الهدنة الثانية في ١٥ تموز/ يوليو، دعا مجلس الأمن الأطراف المعنية إلى وقف اطلاق النار فورا ودون شروط في مدينة القدس، وطلب من الوسيط الدولي الكونت فولك برنادرت جعل المدينة منزوعة السلاح، وتأمين حماية الأماكن المقدسة وضمان الوصول إليها قبل العرب، ورفضه اليهود، بعد أن فتحوا طريقا بين القدس وتل ابيب لنقل السلاح والعتاد، معتبرين أن القدس جزء من دولتهم.

ومع أن القوات الاسرائيلية احتلت ماصار يعرف بالقدس الجديدة أو الغربية وكل أحيائها العربية، وحرر الجيش الاردني القدس القديمة أو الشرقية[1]، فقد أصدرت الجمعية العامة (١١ ديسمبر ١٩٤٨) قرارها الحاسم رقم ١٩٤ الفقرة (٣)، وينص على انشاء لجنة توفيق(.C.C.P) من ممثلي فرنسا وتركيا والولايات المتحدة، بغية إحلال السلام في فلسطين، وتكون مهامها، تقديم اقتراحات بشأن نظام دولي دائم لتدويل منطقة القدس، يؤمن لكل من الفئتين المتميزتين، الحد الأقصى من الحكم الذاتي المحلي المتوافق مع النظام الدولي الخاص لمنطقة القدس. كما ينص على وجوب السماح بالعودة في اقرب وقت ممكن للاجئين الراغبين في العودة إلى بيوتهم والعيش بسلام، ووجوب دفع تعويضات عن ممتلكات الذين يقررون عدم العودة إلى بيوتهم وعن كل مفقود أو مصاب بضرر.

---

(١) لا يمكن أن تقف واقعة ضم اسرائيل لمدينة القدس الغربية ثم الشرقية على قدم المساواة مع واقعة توحيد القدس القديمة والضفة الغربية مع الأردن (١٩٥٠)، فالواقعتان مختلفتان في الغاية والطبيعة القانونية والخطورة السياسية. ففي حين كان ضم اسرائيل للقدس عامي ١٩٤٨ و١٩٦٧ عملا عدوانيا واغتصابا لأرض عربية قام به شعب أجنبي، كان ثمة موافقة على اتحاد لم ينظر على اخضاع الفلسطينيين أو إجلائهم أو نزع ممتلكاتهم. والجمعية الوطنية التي اعلنت قرار الاتحاد تألفت من عدد متساو من الأردنيين والفلسطينيين، وركز القرار على حماية جميع الحقوق العربية في فلسطين، وعلى أن الاتحاد لن يضر بالتسوية النهائية للقضية الفلسطينية، وبرغم معارضة الجامعة العربية للقرار، فقد اعلنت أن الأراضي التي احتلها الجيش الأردني في فلسطين تبقى في عهدة الأردن موقوفة للشعب الفلسطيني.

الوسيط الدولي برنادوت :

أما الوسيط الدولي برنادوت فقد وقفت أمام مساعيه لإحلال السلام ثلاث عقبات كأداء : أولها مشكلة الأراضي ، فقد أنهى إليه شرتوك وزير الخارجية في الحكومة المؤقتة الاسرائيلية عدم موافقته على حدود الدولة اليهودية بموجب التقسيم ، وقال له «إن الاراضي الاسرائيلية يجب أن توسع»[1] . والثانية مشكلة اللاجئين الفلسطينيين التي اعترف بفشله تجاهها ، لان الحكومة الاسرائيلية لم تظهر إزاءهم سوى القسوة والتصلب[2] . والثالثة مشكلة مدينة القدس ، فقد اقترح إدماج المدينة في الاراضى العربية مادامت تقع وسط اقليم عربى يحيط بها ، مع حكم ذاتى بلدى للجماعة اليهودية ، وترتيبات خاصة لحماية الأماكن المقدسة . وفي رد الحكومة الاسرائيلية الغاضب (٥ تموز/ يوليو ١٩٤٨) ، احتجت على (انحرافات) الوسيط الدولى عن قرار التقسيم ، وخاصة اقتراحه بشأن وضع القدس . ولم يلبث برنادوت أن اوصى فيما بعد ، بعد انقلاب موازين القوى لصالح اليهود ، بمشروع تدويل القدس ، ولكنه لم يستطع إتمام مهمته ، إذ اغتاله الارهابيون اليهود بالقدس في ١٧ ايلول/ سبتمبر . جزاء مقترحاته الاولى . وسعى

---

(١) أنظر مفكرة برنادوت المنشورة بعنوان :
Count Folke Bernadotte, to Jerusalem, London 1951, p. 209

(٢) المصدر السابق نفسه ص ٢٠٩ .

نائبه رالف بانش المعروف بصلاته مع الصهيونية، إلى عقد هدنة بين العرب واليهود على أساس مواقعهما في المدينة المقدسة. ولكن الدول العربية التى كانت تتفاوض مع لجنة التوفيق على تسوية القضية الفلسطينية، خشيت من تجميد الموقف على هذا الأساس، وكانت قد رفضت القرار (١٨١) الفقرة (٢) بتاريخ ٢٩ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٤٧، القاضي بتقسيم فلسطين وتدويل القدس، ولذا أبدت رغبة في قبول مبدأ النظام الدولى في القدس على اساس وحدتها ودون تقسيم الأماكن المقدسة فيها[١]. في حين أبدت اسرائيل الحفاظ على الوضع الراهن في القدس، ووافقت على تدويل الأماكن المقدسة في القدس القديمة التي كان يدافع عنها الجيش الأردني.

وحين باشرت الحكومة الاسرائيلية نقل بعض وزاراتها من تل ابيب إلى القدس، أنكرت أية نوايا لديها بضم المدينة أو محاولة تغيير وضعها القانوني. وتلقت الجمعية العامة تأكيدات بهذا المعنى في الوقت الذى كانت تنظر في طلب العضوية الذى قدمته اسرائيل للأمم المتحدة. وكانت المنظمة الدولية تود أن تعرف مدى استعداد اسرائيل لاحترام قرارات الجمعية العامة وتنفيذها. وخاصة ما يتصل منها بتدويل واعادة اللاجئين الفلسطينيين. وأكدت اسرائيل على لسان ممثليها آبا إيبن (Abba Aban) أن

---

(١) أنظر هنرى كتن. Henry Cattan, the question of Jerusalem. Lond. 1980 p. 66 نقلا عن تقرير لجنة التوفيق بتاريخ ٢ ايلول / سبتمبر ١٩٥٠.

الوضع القانوني للقدس مختلف عن وضع الاراضي التي تقوم فيها سيادة اسرائيل. وتعهد باسم حكومته باحترام وتنفيذ قرارات الأمم المتحدة التي يجب أن تؤدى إلى حل النزاع بين العرب واسرائيل[1]، أي التقسيم وحدوده، وتدويل القدس، وإعادة اللاجئين أو تعويض الذين لا يرغبون فى العودة، وهى الأسس التى تضمنها بروتوكول لوزان الذى وقعت عليه اسرائيل مع الوفود العربية تحت اشراف لجنة التوفيق (١٢ آيار/ مايو ١٩٤٩). وسجلت الجمعية العامة تأكيدات اسرائيل فى قرارها بتاريخ ١١ آيار/ مايو ١٩٤٩ الذى أوصى بقبولها عضوا فى الأمم المتحدة بموجب قرار (٣٧٣)، قبولا مشروطا مقيدا وصريحا.

(١) كتن المرجع السابق ص ٣١ نقلا عن الدورة الثالثة للجمعية العامة للعام ١٩٤٩، القسم الثاني اللجنة السياسية المؤقتة Ad Hoc Political Commitee, pp. 286- 287.

قضية تدويل القدس :

ولماحصلت اسرائيل على عضوية المنظمة الدولية، تنكرت لقراراتها، ورفضت التنازل عن الاراضى التى استولت عليها خارج حدود الدولة اليهودية بموجب التقسيم، فضلا عن الأراضى العربية الشاسعة التى اغتصبتها من (الدولة العربية). كما رفضت إعادة اللاجئين الفلسطينيين، وقال ابا ايبن إن مشكلتهم لا يمكن حلها إلا في إطار تسوية نهائية تحقق أوضاعا من التعاون بين اسرائيل وجاراتها. أما حدود التقسيم، فأكد أنها متصلة بقضية اللاجئين.

وسارعت اسرائيل الى ضم القدس الغربية وأحيائها العربية، وعقدت الجلسة الاولى للكنيست في القدس (١٣ كانون الاول/ ديسمبر ١٩٤٩)، وبعد عشرة أيام أعلن في الكنيست أن القدس عاصمة اسرائيل، وتم نقل الوزارات إليها، كما تم فرض القوانين الاسرائيلية على المناطق العربية المحتلة والمخصصة وفقا لأوامر بن غوريون وزير الدفاع، والقصد من نزع صفة الاحتلال عنها، هو ضمها الى اسرائيل، كما حدث بالفعل.

وفى غضون ذلك توصلت لجنة التوفيق الى مشروع نظام للقدس أقرب الى وجهة النظر الاسرائيلية، من حيث إقرار الوضع الراهن في مدينة القدس، بحيث يمهد للسلطات العربية والاسرائيلية فيها بادارة المناطق التى تحتلها كل منهما. ورفضت

الدول العربية ـ عدا الاردن ـ هذا المشروع، كما رفضته اسرائيل، كذلك رفضته الجمعية العامة في ٩ كانون الاول/ ديسمبر ١٩٤٩ لخروجه عن الاطار الأصلي الموضوع لنظام التدويل. ولم تلبث الجمعية العامة وبتأثير توجهات الرأى العام، وخاصة الكنيستين الكاثوليكية والارثوذكسية، أن أعادت تأكيد قرار تدويل منطقة القدس فى القرار رقم (٣٠٣) الفقرة الرابعة، بما يتضمن حماية الاماكن المقدسة داخل المدينة وخارجها، وطلبت من مجلس الوصاية مجددا وضع (دستور القدس)[١]. وفى نيسان/ ابريل ١٩٥٠ صادق مجلس الوصاية على مشروع الدستور المذكور، وقدمه الى الجمعية العامة، ولكنه سرعان ما ادرك انه لا اسرائيل ولا الاردن كانت مستعدة للتعاون من اجل تنفيذه، وجرت مناقشة مشروع دستور القدس في الجمعية العامة دون ان تسفر عن نتيجة ما، وبالتالى لم تتخذ الأمم المتحدة أي اجراء للمصادقة عليه أو تنفيذه.

وبازاء محاولات تعديل قرار تدويل القدس من جانب الولايات المتحدة وبريطانيا فى الجمعية العامة عن طريق مشاريع قدمتها دول اخرى (السويد وبلجيكا) لقصر التدويل على الاماكن المقدسة، والحفاظ على القائمة في قسمى القدس الاسرائيلى والعربى، امتنعت الدول العربية عن طرح أية مشروعات قد

---

(١) انظر خيرية قاسمية (قضية القدس) بيروت ١٩٧٩، ص ٨٦. وانظر ايضا هنرى كتن Henry Cattan Jerusalem, London 1981, p. 25

تضعف قرارات التدويل السابقة وتنال من (دستور القدس) الذي صادق عليه مجلس الوصاية[1].

وبعد ان فشلت الأمم المتحدة في تنفيذ تدويل القدس، ولم يدرج موضوعه على جدول أعمال الجمعية العامة في دورتها السابعة للعام ١٩٥٢ . وامعانا من اسرائيل في تحدى المنظمة الدولية، طلبت من الدول التى تتبادل التمثيل الدبلوماسى معها، تقديم أوراق اعتماد سفرائها في مدينة القدس. وهددت بانها لن تقبل بغير ذلك، وهنا لجأت بعض الدول، كبريطانيا، ابتداء الى الاعلان بأن تقديم اوراق اعتماد سفرائها بالقدس، لا يعنى حتما الاعتراف بالقدس عاصمة لاسرائيل. وحين نقلت اسرائيل وزارة خارجيتها الى القدس، رفضت الحكومة الامريكية نقل سفارتها من تل ابيب بحجة ان هذا يناقض الطبيعة الدولية للقدس. واعلن وزير الخارجية دالس عام ١٩٥٣ أن الأمم المتحدة تتحمل مسؤولية اساسية عن تحديد وضع القدس، وان قرار الأمم المتحدة عن القدس، يتطلع الى ان القدس يجب الا تكون الى حد كبير مدينة دولية اكثر منها مدينة قومية.[2]

---

(١) خيرية قاسمية «قضية القدس» ص ٨٧.
(٢) أنظر كتن، مشكلة القدس، ص ٤٧، نقلا عن نشرة وزارة الخارجية الامريكية بتاريخ ١٠ آب/ اغسطس ١٩٥٣، ص ١٧٧، وتاريخ ٢٠ تموز/ يوليو ١٩٥٣، ص ٨٢.

اسرائيل تستولى على القدس كاملة :

وبقيت مدينة القدس خاضعة لحكم الأمر الواقع حتى عدوان حزيران/ يونيو ١٩٦٧ . حين قامت اسرائيل باحتلال القدس القديمة وبذلك خضعت المدينة بأكملها للاحتلال الاسرائيلي، مع اراض اخرى تابعة لثلاث دول عربية وسارعت اسرائيل الى استخدام الوسيلة الناجعة التي اثبتت جدواها في حرب ١٩٤٨ ولكنها فشلت عام ١٩٦٧ ، وهي استعمال الارهاب كونه وسيلة لطرد السكان : فقد فوجئ عرب القدس منذ اليوم الاول من القتال بوابل من القصف المتواصل جوا وارضا، وبموجات من نيران الرشاشات مما أدى الى استشهاد أكثر من ٣٦٠ مدنيا[١] وذلك رغم انسحاب القوات الاردنية منذ اليوم الثاني من الحرب . وسرعان ماظهرت النوايا الاسرائيلية تجاه القدس، مع القائد الصهيوني موشيه دايان الذي أعلن أمام حائط المبكى : «لقد أعدنا توحيد المدينة المقدسة، وعدنا إلى أكثر أماكننا قدسية . عدنا ولن نبارحها أبدا»[٢] . ولا عجب إذا كان أول عمل قامت به اسرائيل ـ قبل إعادة الحياة الطبيعية الى البلد وتأمين وسائل العيش كالماء والكهرباء والمواصلات، بل قبل دفن جثث القتلى العرب ـ هو

(١) وفقا لتقدير اسرائيلي . ولكن ميرون بنفنيستي نائب رئيس بلديةالقدس، يرفع العدد الى (٦٥٤) قتيلا من العرب، أنظر كتابه :
Benvenisti, Meron, Jerusalem, the Torn City, Minnesota Prss, 1976, p.95.
(٢) المرجع السابق، Benvenisti ص ٨٤ .

قيام الجرافات الاسرائيلية تحت جنح الظلام، بهدم حي المغاربة المحاذى للحائط الغربى ـ حائط المبكى وتسويته بالارض، وفجر اليوم التالى (١١ جزيران/ يونيو) عثر على جثة امرأة عربية بين الأنقاض[١]. ثم باشرت اسرائيل المرحلة الثانية من مخططات تهويد القدس، وماتنطوى عليه من تصفية وجود العرب تدريجيا، ومصادرة أراضيهم وممتلكاتهم وتصفية اقتصادهم. وتطويقهم في القدس والقرى المجاورة من جميع الجهات وحصرهم ضمن رقعة صغيرة، وتغيير معالم مدينتهم المقدسة التاريخية والحضارية، ومواجهة العالم بأمر واقع، وتحدى المواثيق الانسانية والقرارات الدولية، وباختصار، ازالة كل ماهو غير يهودى بأقصى سرعة ودون وازع قانوني أو اخلاقى[*].

ولا يذهبن الظن إلى أن الدافع وراء كل ذلك دافع سياسي بالدرجة الأولى. ولم يكن الادعاء الدينى سوى حجة تشبثت بها اسرائيل، بعد أن اتضح لها أن العالم كله يعارض دعواها بالسيادة على المدينة المقدسة.

(١) المرجع السابق، Benvenisti ص ٤٢.

(*) ويتم ذلك عن طريق الحفريات التي تجريها وزارة الأديان التي الحقت اضرارا بالغة بعدد من المباني الدينية والحضارية والتاريخية والسكنية والتجارية، فأزالت بعضها، وسببت تصدع البعض الآخر، وعرضت سور الحرم الشريف والمسجد الاقصى نفسه لخطر الانهيار، انظر عن اجراءات اسرائيل في القدس، روحى الخطيب، المرجع السابق نفسه، ص ٩٧ ـ ١١٨، وعن تطويق القدس، انظر تفاصيل حول ذلك فى وثيقة بعنوان (القدس عربيا واسلاميا)، إعداد وزارة الخارجية الاردنية والمكتب التنفيذي لشؤون الارض المحتلة (عمان ١٩٨٠).

ونتيجة للانتصار الاسرائيلى والاعلام الصهيوني الامبريالى أصبح المُعتَدى هو المُعْتَدَى عليه، وكان من الطبيعى وفقا لميثاق الأمم والاحداث المماثلة التي شهدها مجلس الامن كالحرب التي شنتها دول العدوان الثلاثى على مصر(١٩٥٦)، أن تكون الخطوات التالية لقرار وقف اطلاق النار، إرغام المعتدى في ٥ حزيران/ يونيو على العودة الى خطوطه ما قبل العدوان، وعدم تمكينه من جني ثمار عدوانه. ولكن حال دون ذلك الضغط الامريكي(*)، الذي ساند المعتدي بقصد استمرار احتلاله، وتحقيق غرضه في القضاء على فلسطين وشعبها وضرب مسيرة الأمة العربية. وإذا لم تستطع جميع الدول الاتفاق على انسحاب اسرائيل من الأراضى العربية المحتلة، فقد كان ثمة شبه اجماع دولى على استنكار وشجب ضم اسرائيل للقدس القديمة وما يجاورها الى المنطقة الاسرائيلية، وفرض الانظمة الادارية والقضائية على سكانها العرب (نحو ١٠٠ الف نسمة) ضد ارادتهم، وتحدى المجتمع الدولى، ولذا اصدرت الجمعية العامة بتاريخ ٤ تموز/ يوليو ١٩٦٧ في دورتها الاستثنائية الخامسة القرار

(*) اعترف جون لورانس هارغريف Hargrave المستشار الاول فى القانون الدولى للوفد الامريكى الدائم لدى المنظمة الدولية بأن الخيارات التى ارغمت عليها الامم المتحدة بضغط امريكا. لم تكن قانونية قط، ولكنها ارادت استغلال الانتصار الاسرائيلى إلى أبعد حد ممكن. وهنا سبب آخر وهو أن الوضع الداخلى في امريكا لم يكن ليقنعها بعكس ذلك. انظر بحث جورج طعمة (القضية الفلسطينية والصراع العربى الاسرائيلي في الأمم المتحدة ١٩٦٥ ـ ١٩٧٤)، في مجلة (شؤون فلسطينية). العدد ٤١ ـ ٤٢ للعام ١٩٧٥. ص ١٢٥ ـ ١٢٦ نقلا عن بحث هارغريف المنشور في مجلة كنساس للقانون: Kansas Law review, vol. 19, No, 3, spring 1971, p. 367.

رقم (٢٢٥٣) بأغلبية ٩٩ صوتا، وامتناع عشرين دولة عن التصويت، عبرت فيه عن قلقها الشديد إزاء الموقف السائد في القدس. نتيجة الاجراءات التى اتخذتها اسرائيل لتغيير وضع المدينة. واعتبرت هذه الاجراءات غير مشروعة. ودعت اسرائيل الى الغائها والامتناع عن اتخاذ أي عمل من شأنه تغيير وضع القدس. وطلبت من الأمين العام تقديم تقرير الى الجمعية العامة ومجلس الأمن بالحالة، وبشأن تنفيذ هذا القرار، في موعد لا يتجاوز الاسبوع[1]. وتضمن تقرير الأمين العام (١٢ تموز/ يوليو) رسالة من وزير الخارجية الاسرائيلى آبا ايبن تشرح بعض الاجراءات التى اتخذتها اسرائيل في القدس. ولكن لا توضح ما اذا كانت الاجراءات ذات طبيعة دائمة أم مؤقتة، ولا تشير الى امتثال اسرائيل للقرار (٢٢٥٣)، ولذا صدر قرار الجمعية العامة (٢٢٥٤) بتاريخ ١٤ تموز/ يوليو، (بأغلبية ١٠٠ صوت وامتناع ١٨)، وفيه تلاحظ مع الأسف والقلق الشديدين عدم التزام اسرائيل بالقرار (٢٢٥٣)، ولذا فهي:

١ ـ تستنكر فشل اسرائيل في تنفيذ القرار المذكور.

٢ ـ تكرر دعوتها لإسرائيل في ذلك القرار إلى إلغاء جميع الاجراءات التى اتخذت، والامتناع عن اتخاذ أي عمل من شأنه تغيير وضع القدس.

٣ ـ ترجو من الامين العام تقديم تقرير الى مجلس الأمن والجمعية العامة حول الموقف وحول تنفيذ هذا القرار.

---

(١) وثيقة الأمم المتحدة رقم ٦٧٩٣ ص ٢١. انظر كتن **Jerusalm** مرجع سابق ص ٧٥.

رفض اسرائيل لقرارات المنظمة الدولية:

رفض وزير الخارجية الاسرائيلي قرار المنظمة الدولية في ١٦ تموز/ يوليو، وأعلن أن اسرائيل سوف تمضى قدما في اجراءات ضم القدس العربية والقرى المحيطة بها. حتى لو صوتت جميع الدول الأعضاء في الأمم المتحدة ضد هذه الاجراءات ونبهت المنظمة الدولية إلى الأثر الضار لاحتلال القدس الذي أدار رؤوس المسؤولين الاسرائيليين، فمضوا يؤكدون دعاويهم بشأن الأماكن المقدسة الاسلامية في القدس والخليل. ولذا عين الامين العام مبعوثا شخصيا هو السفير ارنستو تالمان (سويسرى)، في مهمة لتقصى الحقائق في مدينة القدس، وتنفيذ قرارات الجمعية العامة. واستغرقت زيارته الفترة مابين ٢١ آب/ اغسطس و٣ أيلول/ سبتمبر ١٩٦٧، وأورد في تقريره مايؤيد صحة هذه الدعاوي، حين قال إن تصريحات المسؤولين الاسرائيليين والشخصيات اليهودية بشأن الدعاوى اليهودية والخطط المعدة لمنطقة (الهيكل)، كان لها آثار مقلقة ومفزعة[1] وذكر أن وزير الشؤون الدينية أعلن في مؤتمر صحفي بالقدس (٢ آب/ اغسطس١٩٦٧) أن السلطات (الاسرائيلية) تعتبر أن موقع مسجد عمر (قبة الصخرة) ملك لها «بالتملك السابق أو بالفتح»[2]، وأن ثمة مشكلة

(١) وثيقة الأمم المتحدة رقم ٦٧٩٣ ص ٢١. انظر Quoted in Cattan, Jerusalem, op. cit.p. 75

(٢) يقصد بالتملك السابق في العرف اليهودي أن داود اشترى الارض التي إقيم عليها هيكل سليمان من احد اليبوسيين.

إعادة بناء هيكل سليمان في منطقة الحرم الشريف. . . ولكن الأمر ـ كما ذكر تالمان لم يقتصر على التصريحات والتهديدات، وانما تطور الى اعمال استفزازية: معظم العرب الذين قابلهم الممثل الشخصي صرحوا أن السكان المسلمين صعقوا من الممارسات الاسرائيلية التي تنتهك قدسية الحرمات والمزارات الاسلامية. وقد اعتبروا أن زيارة الحاخام للجيش الاسرائيلى مع مرافقيه للحرم الشريف، وقيامهم بالصلاة في منطقته، هي بمثابة استفزاز لمشاعرهم. وأشار تقرير تالمان إلى أن الاماكن المقدسة المسيحية لم تنج من العبث، فقد جرى تدنيس المزارات والممتلكات الدينية والمقابر على جبل صهيون، كما حطمت قبور البطاركة في ساحة كنيسة المخلص الارمنية وبعثرت رفاتها وشكا المسيحيون العرب من السلوك الشائن لليهود أثناء زيارتهم للأماكن المسيحية المقدسة، كالتدخين ورفع الاصوات، وارتداء الملابس غير المحتشمة، وجلب إلى كنيسة القبر المقدس، بما لا يتفق مع قداسة المكان. وشكا المسلمون العرب من تصرفات مشابهة، مثل عناق الجنسين، وارتداء الملابس الفاضحة، مما لا يتوافق مع التقاليد العربية الاسلامية. . ونتيجة ذلك كله، استنكرت الطوائف المسيحية هذه التصرفات، واعلنت أن منشأها انفراد اسرائيل بالنظرة الاحادية الى طبيعة القدس»[1]. وفهم تالمان من المسؤولين الاسرائيليين أن توحيد المدينة المقدسة يرمى الى

---

(١) أنظر المراسلة التى قدمها الاردن إلى الامم المتحدة، وتحتوى قائمة الاحتجاجات التى قدمتها المؤسسات الدينية فى القدس الى السلطات الاسرائيلية على تدنيس الاماكن المقدسة، فى وثيقة الأمم المتحدة UN Doc. S/9001, 19 April 1968

تحقيق المساواة بين سكانها من النواحي القانونية والادارية، وتيسير الخدمات وسهولة الاتصال بين الاقتصاد (المتخلف) في القطاع العربي، ونظيره الاكثر تطورا في القطاع الاسرائيلي. كما فهم أن «عملية ضم القدس لا رجعة فيها وهي غير قابلة للتفاوض».

وهكذا بدا مع العام ١٩٦٧ أن مسألة فلسطين، والقدس خاصة، دخلت مرحلة جديدة تماما، وأخذت أحداثها منحى خطيرا بعد ضم اسرائيل للبلدة القديمة وما فيها من الأماكن المقدسة. لقد حذر ممثل الأمين العام من انتهاكات اسرائيل لقدسية الأماكن المقدسة الاسلامية والمسيحية، وقال إن المزيد منها لابد أن يسفر عن اضطراب عنيف ونتائج خطيرة. ولكن اسرائيل أمعنت في تغيير البنية السكانية للقدس، ورفضت دائما القبول ببرنامج لاعادة اللاجئين نتيجة عدوان ١٩٦٧، ولكنها تحت ضغط الرأى العام العالمى، سمحت فقط بعودة ١٤ ألفا من أصل ٤١٠ آلاف من اللاجئين الفلسطينيين، تم ترحيلهم عام ١٩٦٧، وبين هؤلاء قلة قليلة لا تذكر من سكان القدس القديمة[١]. ولم تخف اسرائيل خططها لاجتذاب مئات الألوف من المهاجرين، لتوطينهم في القدس، وتحقيق هدف مزدوج:

١ ـ سياسى لتهويد سكان المدينة كليا.

---

(١) نقلا عن وثيقة الأمم المتحدة Quoted in Cattan, the Question of Jerusalem op. cit., p. 36 A/6712, P. 4

٢ـ عسكرى لتطويق المدينة بواسطة مبان على شكل الحصون مشحونة باليهود.

ونتيجة لهذه الاجراءات غيرت اسرائيل بشكل جوهرى البنية السكانية للقدس: فبينما كان عدد اليهود في القدس يقارب المائة ألف (٩٩,٦٩٠ نسمة)، ارتفع عام ١٩٦٧ إلى ١٩٤ ألفا. بينما انخفض عدد السكان العرب في الفترة نفسها من (١٠٥,٥٤٠ نسمة) إلى الصفر فى القدس الغربية، والى ٧٠ ألفا فى البلدة القديمة وضواحيها. وبعبارة اخرى، مايزال أكثر من ١٣٠ ألف عربى من أهالى القدس، يعيشون خارج بلدهم وخارج فلسطين المحتلة: منهم سبعون الفا من لاجئى نكبة العام ١٩٤٨، ونحو ستين الفا من مواليدهم منذ ذلك العام. وبالمقابل هاجر أكثر من ٢,٥ مليون يهودى إلى فلسطين، حيث منحوا أراضى وبيوت وممتلكات اللاجئين العرب. ومع نهاية العام ١٩٧٩، ارتفع عدد اليهود في القدس إلى ٢٧٥ ألفا. وقد تناقص عدد العرب المسيحيين بشكل ملموس، ففي حين كان عددهم (٤٤٨٥٠ نسمة) في العام ١٩٤٦، اذا به يهبط إلى أقل من ١٠ آلاف فى نهاية العام ١٩٧٩، أى أنهم تناقصوا إلى ربع عددهم، وتم اجلاء الباقين منذ اقامة الكيان الصهيونى[1]. وبعد أن أصدرت اسرائيل (أمر القانون والنظام رقم واحد لسنة ١٩٦٧) الذى أخضع القدس بأكملها للقوانين الادارية والتشريعية الاسرائيلية، اصبح

---

(١) أنظر Cattan, Jerusalem op. cit., p. 97

نحو مائة ألف من سكان بلدية القدس القديمة وقراها، تابعين بالقوة والقهر، للقانون والسيادة الاسرائيليين.

ومن ناحية أخرى، تم تجريد العرب الفلسطينيين من بيوتهم واراضيهم وممتلكاتهم في القدس الغربية عام ١٩٤٨ إذ قام اليهود بنهب جميع البيوت والمحلات العربية فى اثنى عشر حيا عربيا استولوا عليها هناك، بعد أن فر اصحابها العرب، وتركوها سليمة بكامل محتوياتها وفرشها ومقتنياتها[١]. وصودرت أيضا جميع الامـلاك المنقـولة التي يملكهـا العـرب فى القـدس والمناطق المحتلة، بموجب (قانون أملاك الغائبين للعام ١٩٥٠)، وتولى بيعها (القيم على املاك الغائبين) إلى المستوطنين اليهود بأثمان رمزية. ولنلاحظ هنا، خلافا للاعتقاد الشائع، أن الاملاك غير المنقولة التى يملكها اليهود في القدس الغربية لا تتجاوز ٢٦٪ من مجموع الاراضى والعقارات، والباقى يملكه العرب وغير اليهود. في حين تبلغ ملكية اليهود لهذه الاملاك في البلدة القديمة ١٪ فقط. وقد حددت الحكومة المنتدبة فى العام ١٩٤٦ مايملكه اليهود من الأرض في منطقة القدس بما لا يتجاوز ٢٪[٢].

وتكفى الاشارة الى اجراءات تصفية الاقتصاد العربى، وحرمان القدس من المنتجات الزراعية والصناعية من القرى العربية المجاورة، في محاولة لفصل المدينة عن (الضفة الغربية).

---

(١) أنظر Kirk, G., The Middle East 1945 - 1950 Lond. 1953, P. 262
(٢) نقلا عن وثيقة الأمم المتحدة A/Ac 14/32. P. 293 11 Nov. 1947

والى احصاء سكان القدس (تموز/ يوليو ١٩٦٧)، واجبارهم على الحصول على تذاكر هوية اسرائيلية، والقصد هو اعتبار الغائبين من سكان المدينة، بحكم العمل والدراسة أو الزيارة أو النزوح بسبب الحرب، غائبين لا يسمح بعودتهم. وماترتب على ذلك من استحواذ السلطات على مساحات واسعة مما تبقى لدى العرب فى القدس من املاك واراضى، ومصادرة املاك الغائبين المنقولة، وسلب ونهب املاك المقيمين العرب فى المدينة ومصادرتها، باستخدام مادعى بقانون استملاك الاراضى للمصلحة العام. الذي اصدرته الحكومة المنتدبة فى العام ١٩٤٣، والذي يخالف الشرائع الدولية وميثاق حقوق الانسان. وبموجبه كانت السلطات تختار مواقع الاملاك والاراضى، بعد نزع ملكيتها من اصحابها، بحيث تؤدى الى تطويق السكان العرب من جميع الجهات، وحصرهم فى رقعة صغيرة[1].

وبصدد الاستيطان اليهودى الكثيف الذى شكل الاداة الرئيسية للحركة الصهيونية في مسعاها الدائب لاقامة دولة يهودية بفلسطين. والذي تضاعف باحتلال القدس والضفة الغربية وقطاع غزة بعد عدوان ١٩٦٧، نشير الى أن الأمم المتحدة استنكرت وادانت اقامة اسرائيل للمستوطنات في الأراضى المحتلة بما فيها

---

(١) انظر عن تفاصيل مصادرة الاراضى والأملاك العربية. وعن الطرفين اللذين اقامتهما اسرائيل لمحاصرة البلدة القديمة والاحياء العربية في القدس الشرقية، جريس، المرجع السابق وص ٨١ـ ١١١ وص ١٣٣ ـ ١٤٣. وانظر عن المستوطنات في القدس وسياسة الاسكان الاسرائيلية ص ١١٥ ـ ١٥١.

القدس، معلنة أن عملها هذا ليس قانونيا ولا شرعيا. كما أدانت ما رافق إقامة المستوطنات من اجراءات نزع ملكية الاراضى ومصادرتها. واحلال سكان غرباء في الاراضى المحتلة بما فيها القدس، وانتهاكات حقوق الانسان فيها. وكانت المنظمة الدولية قد اطلعت على أول تحقيق أجرته لجنة مجلس الأمن المؤلفة بموجب القرار (٤٤٦) بتاريخ ٢٢ آذار/ مارس ١٩٧٩، لدرس الوضع المتعلق بالمستوطنات في الاراضى العربية المحتلة منذ العام ١٩٦٧ بما فيها القدس، وهو يكشف عن العواقب الخطيرة للاستيطان الاسرائيلى وابعادها. وتأثيراتها التى رأت اللجنة أنه لا يمكن نقض التغييرات التى أحدثتها. وتظهر مقتطفات من تقرير اللجنة المؤرخ في (١٢ تموز/ يوليو ١٩٧٩)[1]، أن ١٧ مستوطنة أقيمت فى القدس وماحولها. وأن ٣٢٠ وحدة سكنية يهودية أقيمت لليهود، ودمر للعرب ١٦٠ منزلا، ونزعت ملكية ٦٠٠ منزل، وأجلى ٦٥٠٠ نسمة من سكانها العرب. ولاحظت اللجنة أن الاستيطان اليهودى فى القدس وماحولها كان أكثر كثافة من أية منطقة محتلة أخرى. وأن عدد المستوطنين اليهود فى القدس والضفة الغربية بلغ ٩٠ ألفا، أكثرهم فى منطقة القدس، ٨٠ ألفا فى القدس الشرقية وحدها، و١٠ آلاف في مستوطنات الضفة الغربية. كما لاحظت أن الأرض التى صادرتها السلطات الاسرائيلية لإقامة المستوطنات، أو للأغراض الأخرى، تبلغ

---

(١) أنظر تقرير لجنة مجلس الأمن في الوثيقة S/13450

نسبتها ٢٧٪ من مساحة الضفة العربية المحتلة . وأن ثمة علاقة بين إقامة المستوطنات وإجلاء السكان العرب عن ديارهم، بدليل أنه منذ بدء سياسية الاستيطان، نقص السكان العرب بنحو ٣٢٪ فى القدس والضفة الغربية . وعبرت اللجنة عن قناعتها بأن تنفيذ سياسة الاستيطان اقتضى «أن تلجأ اسرائيل إلى أساليب قهرية غالبا، وأكثر خبثا ودهاء فى بعض الأحيان، وتشمل التحكم بموارد المياه، ومصادرة الأملاك الخاصة، وتدمير المنازل، ونفى الأشخاص» . وأكدت اللجنة أن «أسرائيل برهنت على عدم اكتراثها بحقوق الانسان الأساسية، بما فيها حق اللاجئين بالعودة إلى بيوتهم» . وعن السكان العرب الذين مازالوا يعيشون فى الاراضى التى تحتلها اسرائيل، وخاصة فى القدس والضفة الغربية، سجلت اللجنة «أنهم عرضة للضغط المستمر عليهم لدفعهم إلى الهجرة بقصد إحلال مستوطنين يهود محلهم، وهؤلاء، بالمقابل، يشجعون من اسرائيل على القدوم إلى المنطقة . وتعتبر اللجنة أن سياسة الاستيطان الاسرائيلية تسبب تغيرات عميقة لا تنقض فى الطبيعة الجغرافية والسكانية لتلك الأراضى المحتلة، وأن اللجنة لا تشك فى أن التغييرات التى تجريها اسرائيل، ذات طبيعة عميقة بحيث تشكل انتهاكا لاتفاقية جنيف المتصلة بحماية المدنيين في زمن الحرب، والمؤرخة في ١٢ آب/ أغسطس ١٩٤٩، والقرارات ذات الصلة الصادرة عن الأمم المتحدة في هذا الشأن[١] . واستشهدت اللجنة بشكل خاص

(١) انظر للمزيد عن تقرير لجنة مجلس الأمن Cattan, Jerusalem, op. cit, pp. 83 - 84

بقرارات مجلس الأمن، ولا سيما القرار (٢٣٧) بتاريخ ١٤ حزيران/ يونيو ١٩٦٧، الذى يدعو اسرائيل الى احترام حقوق الانسان في المناطق التى جرت فيها عمليات عسكرية، وإعادة الذين فروا منها. كما استشهدت بالقرار (٢٥٢) بتاريخ ٢١ آيار/ مايو ١٩٦٨ الذى شجب عدم انصياع اسرائيل لقرارى الجمعية العامة (٢٢٥٣) و(٢٢٥٤) الصادرين في الدورة الاستثنائية الطارئة ـ ٥، بتاريخ ٤ و١٤ تموز/ يوليو ١٩٦٧، وأعلن أنه يعتبر جميع الاجراءات التشريعية والادارية والأعمال التى تقوم بها اسرائيل بما فيها نزع ملكية الأراضى والأملاك، والتى تهدف الى تغيير الوضع القانونى للقدس، هى اعمال لاغية وباطلة، ولا يمكن أن تغير ذلك الوضع، ودعا اسرائيل إلى أن تلغى بصورة عاجلة جميع الاجراءات التى اتخذتها وتكف عن اتخاذ أى عمل آخر لتغيير وضع القدس.

وأشارت اللجنة كذلك إلى القرار (٢٩٨) بتاريخ ٢٥ أيلول/ سبتمبر ١٩٧١ الذي يعرب عن الأسف لعدم احترام اسرائيل لقرارات الأمم المتحدة الخاصة باجراءاتها الرامية لتغيير وضع القدس. ويؤكد بأوضح عبارة أن جميع الاعمال التشريعية والادارية الاسرائيلية لتغيير وضع مدينة القدس، ومن ضمنها مصادرة الاراضى والممتلكات، ونقل السكان، والتشريع الذى يهدف الى ضم القطاع المحتل، لاغية كليا ولا يمكن أن تغير ذلك الوضع. كما أشارت إلى البيان الاجماعى لرئيس مجلس الأمن بتاريخ ١١ تشرين الثانى/ نوفمبر ١٩٧٦. والى قرارات أخرى للجمعية العامة.

والباحث في نصوص القرارات الدولية، لا يحتاج لمزيد من الشرح والتحليل، فما جاء فيها واضح ومعبر وصريح. ولكن العبرة في تنفيذ مضمونها، وقوة الزامها.

وبعد اطلاع مجلس الأمن على تقرير اللجنة وتوصياتها، صدر قراره رقم(٤٥٢) معلنا شجبه الشديد لعدم تعاون اسرائيل مع لجنة مجلس الأمن، ومعتبرا أن سياسة اسرائيل في إقامة المستوطنات على الأراضى العربية المحتلة ليس لها مستند قانونى، وتشكل خرقا لاتفاقية جنيف الرابعة. وعبر المجلس عن بالغ القلق من جراء ممارسة اسرائيل تنفيذ تلك السياسة الاستيطانية فى الاراضى المحتلة بما فيها القدس، وعواقب تلك السياسة على السكان المحليين من عرب وفلسطينيين، وأكد ضرورة مواجهة مسألة المستوطنات القائمة وضرورة اتخاذ تدابير لتأمين الحماية المنزهة للملكية المصادرة، ولفت الانتباه إلى العواقب التى تجرها سياسة الاستيطان على أية محاولة للوصول إلى حل سلمى فى الشرق الأوسط، ووافق على توصيات اللجنة الواردة في تقريرها. ونال القرار موافقة ١٤ صوتا مع امتناع صوت واحد للولايات المتحدة.

ويعتبر قرار مجلس الأمن (٤٦٥) بتاريخ ١ آذار/ مارس ١٩٨٠، الذي صدر فى اعقاب خطة اسرائيلية لاستيطان مدينة الخليل العربية: من أقوى القرارات بشأن الاستيطان فى الأراضى المحتلة بما فيها القدس، لأنه تجاوز القرارات السابقة التى كانت مجرد توجيه لوم أو استنكار أو إدانة إنشاء المستوطنات، وذلك حين دعا، إضافة إلى تفكيك المستوطنات فى الاراضى العربية

المحتلة بما فيها القدس. ونص القرار على «أن كافة التدابير التي اتخذتها اسرائيل لتغيير المعالم المادية والتركيب السكاني، وهيكلية المؤسسات في الاراضي الفلسطينية وغيرها من الأراضي العربية المحتلة منذ العام ١٩٦٧ بما فيها القدس، أو أي جزء منها، ليس له أي سند قانوني. وأن سياسة اسرائيل واعمالها لتوطين قسم من سكانها ومن المهاجرين الجدد في هذه الاراضي، تشكل خرقا فاضحا لاتفاقية جنيف الرابعة المتعلقة بحماية المدنيين وقت الحرب، كما تشكل عقبة جديدة أمام تحقيق سلام شامل وعادل ودائم في الشرق الأوسط».

وأعلن مجلس الأمن أنه «يشجب بشدة استمرار اسرائيل وتصميمها على متابعة هذه السياسات والممارسات، ويدعو حكومة اسرائيل وشعبها إلى وقف هذه الاجراءات وتفكيك المستوطنات القائمة، وبصورة خاصة إلى التوقف، بصورة فورية، عن انشاء المستوطنات وبنائها والتخطيط لها في الاراضي العربية المحتلة منذ عام ١٩٦٧، بما فيها القدس. ويدعو كافة الدول الى عدم تقديم أية مساعدات إلى اسرائيل يمكن استعمالها خاصة فيما يتعلق بالمستوطنات في الاراضي المحتلة». ويطلب من لجنة مجلس الأمن «الاستمرار في عملها، والتحقيق في الأنباء عن الاستنزاف الجدي للموارد الطبيعية، وخصوصا المائية، بقصد ضمان حماية هذه الموارد الطبيعية الهامة في الاراضي الخاضعة للاحتلال، وبقاء تطبيق القرار الحالي تحت التمحيص الدقيق. كما يطلب أن يرفع تقرير اللجنة إلى مجلس الأمن قبل

الأول من أيلول/ سبتمبر ١٩٨٠ . ويقرر أن يعود إلى الانعقاد في أقرب وقت ممكن بعد ذلك للنظر في التقرير وفي التطبيق الكامل للقرار الحالي»، ونال القرار موافقة مجلس الأمن بالاجماع .

وفي ٢٤ نيسان/ ابريل ١٩٦٨ دعا أوثانت الأمين العام للمنظمة الدولية، الحكومة الاسرائيلية إلى الامتناع عن اجراء العرض العسكري الذى اعلنت عن قيامها به في شوارع البلدة القديمة يوم ٢ آيا ر/ مايو ١٩٦٨ ، بمناسبة مرور عشرين عاما على قيام اسرائيل ، وذلك لمخالفته اتفاقيات الهدنة للعام ١٩٤٩ واتفاقيات وقف اطلاق النار ، ولكن الحكومة الاسرائيلية أعادت رسالة الأمين العام دون فضها أو الرد عليها . وصدر قرار مجلس الأمن (٢٥٠) بالاجماع مطالبا بالغاء العرض، ورفضت اسرائيل القرار بلسان مندوبها الدائم فى الأمم المتحدة . وبرغم صدور القرار التالى عن مجلس الأمن (٢٥١) بعد خمسة أيام باستنكار العرض العسكرى وبأقوى العبارات، فقد واصلت اسرائيل تحديها للقرارات الدولية، وامعانها في طرد المزيد من العرب فى القدس من مساكنهم التى هدمت وأزيلت لتقوم مكانها مئات الوحدات السكنية على الاراضى والأحياء العربية المصادرة، خارج أسوار القدس وداخلها ، ولاسكان عشرات الألوف من اليهود كمرحلة أولى ، وكالعادة يصدر قرار مجلس الأمن، ويعبر عن الأسف لعدم امتثال اسرائيل لقراراته، وينتقد بأقوى العبارات الممكنة تدابيرها التى اتخذت لتغيير وضع القدس، ويمر الموضوع دون توقيع العقوبات عليها . ولم يكن احراق المسجد الاقصى (٢١ آب/

اغسطس ١٩٦٩) إلا حلقة من سلسلة حلقات المخطط الاسرائيلى الموضوع لتهويد القدس، والقضاء على المسجد الاقصى وبعبارة أخرى، الاستحواذ على الحرم القدسى الشريف بكامله، وتشييد هيكل اسرائيلي كبيرعلى انقاضه، ثم مواجهة العالم فيما بعد بالأمر الواقع[١]. ألم يصرح وزير الأديان الاسرائيلى زيراح فبرها فتبغ (١٢ آب/ اغسطس ١٩٦٧) في مؤتمر دينى يهودى بالقدس «أن تحرير القدس قد وضع جميع المقدسات المسيحية. وقسما من المقدسات الاسلامية تحت سلطة اسرائيل، واعاد الى اليهود جميع كنسهم فيها. لكن لاسرائيل مقدسات اخرى فى شرقى الاردن وفى الحرم القدسى الشريف، وهذا الأخير هو قدس الأقداس بالنسبة لليهود»! وهل ينسى تصريح بن غوريون أول رئيس وزراء للدولة اليهودية الذى قال فيه: (لا معنى لاسرائيل بدون القدس. ولا معنى للقدس بدون الهيكل) وموقع الهيكل يعنى الحرم الشريف[٢]. واتهم رئيس الهيئة الاسلامية فى القدس سلطات الاحتلال بافتعال الحريق وقطع مياه البلدية عن منطقة الحرم فور ظهوره، وتأخير وصول سيارات الاطفاء التابعة لسلطات الاحتلال الاسرائيلى، بحيث وصلت اطفائيات بلديتى رام الله والخليل قبلها وساهمتا فى إخماد الحريق. وألصقت السلطات التهمة بشاب استرالى (مختل العقل). وضع فى مصح عقلى لوقت قصير، ثم أعلن عن إخلاء سبيله وسفره الى بلده.

---

(١) انظر الخطيب، بحثه عن(الاجراءات الاسرائيلية لتهويد القدس)، مرجع سابق، ص١٠٧.
(٢) المرجع السابق نفسه. ص ١٠٨.

وبناء على الشكوى التى قدمتها الدول العربية والاسلامية، وبعد أن استمع مجلس الأمن الى بيانات تعكس غضب العالم المتحضر، تجاه هذا العمل الشاذ الذى دنس واحدا من أقدس المقدسات لدى البشرية، اتخذ المجلس فى ١٥ أيلول/ سبتمبر القرار (٢٧١) الذى فاز باكثرية ١١ صوتا وامتناع ٤ هى كولومبيا وفنلندة وبارغواى والولايات المتحدة. وبعد أن يستذكر قرارات الجمعية العامة. ومجلس الأمن السابق، ويؤكد مجددا مبدأ عدم قبول الاستيلاء على الاراضى بالغزو العسكرى، ويقر بأن أى تدمير أو تدنيس للأماكن المقدسة أو المواقع الدينية فى القدس، وأن أى تشجيع أو تواطؤ للقيام بعمل كهذا، يمكن أن يهدد بشدة الأمن والسلام الدوليين، ولذا يقرر أن العمل المقيت لتدنيس المسجد الاقصى يؤكد الحاجة الملحة الى ان تمتنع اسرائيل عن خرق القرارات الدولية، وأن تبطل جميع الاجراءات والاعمال التى اتخذتها لتغيير وضع القدس، ويدعو اسرائيل الى التقيد بدقة بنصوص اتفاقيات جنيف، وبالقانون الدولى الذي ينظم الاحتلال العسكرى، كما يدعوها الى الامتناع عن اعاقة المجلس الاسلامى الأعلى فى القدس عن القيام بمهامه، ويؤيد القرار تأكيد الفقرة التنفيذية السابقة من القرار (٢٦٧) للعام ١٩٦٩ التي تنص على «انه فى حال إجابة اسرائيل سلبا أو فى حال عدم اجابتها على الاطلاق، سيعود مجلس الأمن الى الاجتماع دون عائق لينظر فى الخطوات التى يمكن أن يتخذها فى هذا الشأن».

اسرائيل تعلن القدس الموحدة عاصمتها الابدية :

وردا على مشروع قانون قدمته حكومة اسرائيل الى الكنيست، باعلان القدس عاصمة موحدة وأبدية لاسرائيل، اتخذ مجلس الأمن القرار (٤٧٦) بتاريخ ٣٠ حزيران/ يونيو ١٩٨٠ بغالبية ١٤ صوتا ضد لا شئ وامتناع صوت واحد ـ الولايات المتحدة، باعلان بطلان الاجراءات التى اتخذتها اسرائيل لتغيير وضع القدس (الدولى)، ويؤكد الضرورة الملحة لانهاء الاحتلال الذى طال أمده للأراضى التى تحتلها اسرائيل من العام ١٩٦٧ بما فيها القدس، ويشجب بشدة استمرار اسرائيل، بصفتها القوة المحتلة، في رفض التقيد بقرارات مجلس الأمن والجمعية العامة ذات الصلة، ويؤكد مجددا أن جميع الاجراءات والاعمال التشريعية والادارية التى اتخذتها اسرائيل، القوة المحتلة، الرامية الى تغيير معالم مدينة القدس ووضعها، ليس لها أى مستند قانونى، وتشكل خرقا فاضحا لاتفاقية جنيف الرابعة . . كما تشكل عقبة جدية أمام تحقيق سلام شامل وعادل ودائم فى الشرق الأوسط . ويؤكد أن جميع هذه الاجراءات التى غيرت معالم مدينة القدس ووضعها الجغرافى والبشرى والتاريخى هى اجراءات لاغية وباطلة، يجب إلغاؤها وفقا لقرارات مجلس الأمن ذات الصلة . ويدعو بالحاح اسرائيل . . الى التقيد بهذا القرار وقرارات مجلس الأمن السابقة، والى التوقف عن متابعة السياسة والاجراءات التى تمس معالم القدس ووضعها . ويؤكد مرة أخرى تصميمه، في حال عدم تقيد اسرائيل بهذا القرار، على دراسة السبل والوسائل العملية وفقا

للاحكام ذات الصلة من ميثاق الأمم المتحدة لضمان التنفيذ الكامل لهذا القرار.

وبرغم أن لهجة القرار تبدو قوية أكثر من السابق، وأن معظم فقراته سبق تكرارها فى قرارات أخرى، إلا أنه خطا خطوة الى الامام حين لوح بدراسة الرسائل العملية الرادعة، ومعلوم أن الباب السابع من ميثاق الأمم المتحدة يبيح توقيع العقوبات واستخدام القوة لتنفيذ قرارات مجلس الأمن.

ولم تلبث الجمعية العامة أن اتخذت خطوة مماثلة وأصدرت قرارا هاما (ES 712) فى ٢٩ تموز/ يوليو بغالبية ١١٢ صوتا مقابل ٧ أصوات وامتناع ٢٤ صوتا، يدعو اسرائيل الى الانسحاب انسحابا كاملا وبدون شروط من جميع الاراضى العربية المحتلة في العام ١٩٦٧ بما فيها القدس، ويلح على أن يبدأ هذا الانسحاب قبل يوم ١٥ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٨٠، ويطلب من مجلس الأمن، فى حالة عدم امتثال اسرائيل للقرار، الى النظر فى الوضع واتخاذ تدابير فعالة بموجب الفصل السابع من الميثاق.

رفضت اسرائيل القرار باعتباره(غير قانونى)، والمفارقة فى أن اسرائيل تتهم قرار المنظمة الدولية باللاشرعية، وهى نفسها تدين بوجودها نفسه الى توصية اشتمل عليها قرار مماثل، ثم توغل في اللاشرعية حتى اصبح اسمها مقترنا بها. وفى اليوم التالى صادق (الكنيست) على مايسمى (القانون الاساسى) الذى تضمن أن القدس عاصمة اسرائيل الى الابد، والذى أثار سخط العالم العربى والاسلامي، وأدانه المجتمع الدولى. وبعد عشرين يوما رد

مجلس الأمن على ذلك بأقوى العبارات فى القرار (٤٧٨) بتاريخ ٢٠ آب/ اغسطس، فى شأن عدم الاعتراف بالقانون الأساسى المذكور، ودعوة الدول الى سحب بعثاتها الدبلوماسية من القدس، بموافقة ١٤ صوتا مقابل لا شئ، وامتناع صوت هو الولايات المتحدة. ويؤكد القرار ان مصادقة اسرائيل على القانون المذكور بشأن القدس يشكل انتهاكا للقانون الدولى، ولا يؤثر فى استمرار انطباق اتفاقية جنيف الرابعة على الاراضى الفلسطينية وغيرها من الاراضى المحتلة منذ العام ١٩٦٧ بما فيها القدس.

ويكرر القرار ماسبق ان اعلن فى قرارات مماثلة كثيرة، من حيث بطلان كافة الاجراءات والاعمال التشريعية والادارية التى اتخذتها اسرائيل، القوة المحتلة.. وخاصة (القانون الأساسى) الأخير بشأن القدس. كما يقرر عدم الاعتراف بالقانون المذكور وغيره من اعمال اسرائيل التى تستهدف، نتيجة هذا القانون، تغيير معالم القدس ووضعها. ويدعو جميع اعضاء الأمم المتحدة الى عدم قبول القرار المذكور، كما يدعو الدول التى أقامت بعثات دبلوماسية فى القدس الى سحبها من المدينة المقدسة.

ويلاحظ هنا أيضا أن لهجة قرارات المنظمة الدولية تميل الى التشدد على نحو ما، والى نعت اسرائيل (بالقوة المحتلة)، وهو نعت يتضمن عدم الاعتراف باحتلال الاراضى العربية بما فيها القدس. كما يلاحظ أن امتناع الولايات المتحدة عن التصويت يعنى عدم التزامها جانب الحق والعدل، وينطوى على أنها غير مبالية باغتصاب اسرائيل لمدينة القدس، وسنرى أن هذه اللامبالاة

تتصل بمراكز القوى المؤثرة داخل الولايات المتحدة. والمفارقة هنا ايضا، أن هذا الأمريكى المحابى لم يرض اسرائيل، إذ انتهرت ادارة الرئيس كارتر لعدم استخدام (الفيتو) ضد القرار. وفي غضون ذلك امتثلت إحدى عشرة دولة من أصل ثلاث عشرة، لقرار مجلس الأمن، ونقلت بعثاتها الدبلوماسية من القدس الى تل ابيب.

استهزاء اسرائيل بقرارات المنظمة الدولية:

أثار قرار اسرائيل مشاعر الاستياء في العالمين الاسلامى والمسيحى، واتضح أن الدولة اليهودية منذ انشائها وهى تهزأ بقرارات المنظمة الدولية وبمبادئ القانون الدولى، وتعتمد أسلوبها وهو مواجهة العالم (بالامر الواقع)، بغض النظر عن جوره وظلمه، وتجعله مقياسا لممارساتها وتصرفاتها. وقد تشجعت بموقف اللامبالاة، ان لم يكن الاذعان، من جانب الولايات المتحدة التى ساندت اسرائيل دائما، باستثناء مرة واحدة حين وقفت ضدها بعد العدوان الثلاثى على مصر (١٩٥٦)، ولعل من أسباب ذلك أن الرئيس ايزنهاوَر كان متحررا من ضغوط الحملات الانتخابية الأمريكية.

ولا حاجة لتعداد القرارات الدولية التى صدرت بشأن قضية القدس فى الثمانينات واوائل التسعينات، فقد ظلت تردد الموضوعات السابقة، وعلى سبيل المثال، أصدرت الجمعية العامة فى ٧ كانون الاول/ ديسمبر ١٩٩٠ قرارا يدعو اسرائيل الى الانسحاب من الاراضى المحتلة من العام ١٩٦٧ بما فيها القدس، ومن الأراضى العربية الأخرى، وضمان ترتيبات لجميع دول المنطقة، ومن بينها الدول المسماة بالقرار (١٨١) للعام ١٩٤٧ (التقسيم الى دولتين عربية ويهودية وتدويل القدس)، وداخل حدود آمنة ومعترف بها، ويدعو القرار الى حل مشكلة اللاجئين

الفلسطينيين بموجب القرار (١٩٤) للعام ١٩٤٨ والقرارات الأخرى ذات الصلة. وإلى تصفية المستوطنات الاسرائيلية فى الاراضى المحتلة منذ العام ١٩٦٧، وضمان الوصول إلى الأماكن المقدسة. ومعلوم أن القرار (١٩٤) يدعو الى إعادة بيوت اللاجئين الفلسطينيين اليهم مع الممتلكات الأخرى التى كانوا يمتلكونها، وأن الجمعية العامة أكدت فى القرار (٣٢٣٦) للعام ١٩٧٤ «الحقوق الثابتة للفلسطينيين فى العودة إلى بيوتهم وممتلكاتهم التى أجلوا عنها واقتلعوها منهم».

كما أدانت لجنة حقوق الانسان، انتهاكات اسرائيل لحقوق الإنسان والحريات الأساسية فى الأراضى المحتلة بما فيها القدس، وظلت تعبر عن كل عام تقريبا فى قراراتها عن شديد الانزعاج والقلق بازاء الانتهاكات المستمرة لحقوق الانسان فى الاراضى المحتلة، وتطالب اسرائيل الالتزام بمسؤولياتها طبقا لاتفاقية جنيف المشار اليها. حتى أن اللجنة اعتبرت فى قرارها (٣) بتاريخ ٢٢ آذار/ مارس ١٩٧٢ «أن المخالفات الخطيرة لاتفاقية جنيف الرابعة التى اقترفتها اسرائيل في المناطق المحتلة تشكل جرائم حرب وإهانة للإنسانية». وانتقدت اللجنة كذلك تنفيذ اسرائيل برامج هجرة مكثفة، ورفضها السماح بعودة اللاجئين، وتدمير البيوت، ومصادرة الممتلكات العربية، وسوء معاملة السجناء العرب، ونهب التراث الأثرى والثقافى فى الاراضى المحتلة بما فيها القدس.

ولابد من التأكيد على أن قرارات الأمم المتحدة الصادرة عن

الجمعية العامة أو مجلس الأمن أو لجنة حقوق الانسان وغيرها من الأجهزة الدولية، التى تعلن بطلان اجراءات اسرائيل التى اتخذتها فى الاراضى المحتلة بما فيها القدس وتدعو إلى الغائها، تنطبق على جميع أعمال اسرائيل، سواء فى القدس الغربية أو فى القدس القديمة (الشرقية)، بغض النظر عما اذا كانت هذه الاجراءات قد تمت قبل عام ١٩٦٧ أو بعده. ويرجع هذا إلى الصفة اللاقانونية لأعمال اسرائيل بموجب القانون الدولى وقرارات الأمم المتحدة. كما يرجع إلى الانتهاكات الاسرائيلية لوضع مدينة القدس التى تضم الجزئين الشرقى والغربى.

هذا الى ان القرارات الدولية ركزت منذ العام ١٩٤٨، على أن احتلال اسرائيل للقدس بجزئيها، يمثل انتهاكا صارخا للقرار (١٨١) المتضمن تقسيم فلسطين وتدويل القدس. وأن ضم القدس للدولة اليهودية جعلها عاصمة لها، لا يخول اسرائيل أية سيادة قانونية على المدينة. فشأنها هنا هو شأن محتل غاصب، يحتل بحكم الأمر الواقع ارضا لا يملكها، ولا يمكن لمرور الزمن أن يسدل الشرعية على انتهاكاته اللاشرعية. إذ ليس ثمة أساس قانونى للادعاء بأن قرارات الجمعية العامة ومجلس الأمن أصبحت ساقطة لاغية لمجرد عدم تنفيذها من جانب اسرائيل، التى وصفتها القرارات الدولية بأنها (القوة المحتلة).

أما قرار تدويل القدس، فان الدول التى وافقت عليه، اعتبرته قانونيا وملزما، برغم الوضع الذى نجم عن العمل العسكرى الاسرائيلى عامى ١٩٤٨ و١٩٦٧. ولكن قرار التدويل لا يلزم

الفلسطينيين، لانهم في الأساس، كانوا يرفضون، وباستمرار، الاعتراف بتوصية التقسيم والتدويل الواردة فى القرار (١٨١) للعام ١٩٤٧، معتبرين أن القرار لا يلزمهم بشئ، أو يؤثر على سيادتهم على بلاد: فيها القدس، ويرون بحق، أن استقلال دولة فلسطين قد اعترفت به المادة(٢٢) من ميثاق عصبة الأمم فى العام ١٩١٩، وهي المادة التى بنى عليها صك الانتداب. وبرغم خضوع فلسطين لانتداب مؤقت من جانب بريطانيا (١٩٢٠ ـ ١٩٤٨)، فانها كانت تعمل كدولة مستقلة وكيان سياسى منفصل. والفقرة السابعة من المادة (٢٢) تنص على أنه «في كل حالة انتدابية يجب على الدولة المنتدبة أن تقدم الى مجلس العصبة تقريرا سنويا عن القطر الموضوع في عهدتها». وعليه فإن وجود دولة فلسطين، لا يمكن أن يلغيه أو يبطله قرار أو توصية صادرين من منظمة الأمم المتحدة. وإذا كان قرار التقسيم والتدويل لا يلزم الفلسطينيين، إلا فى حالة قبولهم لمضمونه، فالقرار نفسه، بالمقابل، ملزم لاسرائيل، نافذ عليها، إذ ليس لها الحق أو السيادة فى فلسطين، ولا يمكنها ان تنازع القرار بأرتال اليهود الغرباء الذين حملتهم الصهيونية إلى فلسطين ضد إرادة أهلها وسكانها أثناء الانتداب البريطانى المساند للصهيونية، حيث أقاموا دولة اسرائيل فى العام ١٩٤٨.

ناهيك عن اليهود الذين قدموا بعد انشاء اسرائيل، فهؤلاء أقل أهلية لمنازعة القرار المذكور، مع أن اسرائيل قبلت هذا القرار،

وأعطت تأكيدات رسمية بالتزامها به وتنفيذه كشرط لقبولها عضوا في الأمم المتحدة.

لقد كان موقف الأمم المتحدة من أعمال اسرائيل فى القدس بجزئيها: الضم، وتهويد السكان، ومصادرة الممتلكات.. في الفترة مابين ١٤٨، ١٩٦٧، يتمثل في إعادة تأكيد القرار (١٩٤) والقرار (٣٠٣) المشار اليهما سابقا، وتذكير اسرائيل بوجوب احترام حدود التقسيم ووضع القدس، اعادة اللاجئين الى ديارهم وممتلكاتهم.. واكتفت الجمعية العامة بتبنى القرارات المذكورة سنويا وبانتظام. وبرغم أن لهجة القرارات الدولية بعد ضم القدس القديمة، اصبحت أقوى منذ العام ١٩٦٧ فى شجب التدابير والانتهاكات الاسرائيلية اللاأنسانية واللاشرعية فى المدينة المقدسة، غير أن أقصى ماوصلت اليه، هو التهديد (بدراسة الوسائل العملية الرادعة، وليس باستخدامها، وبالتالى لم تتوقف اسرائيل عن اتخاذ المزيد من اجراءات التهويد فى القدس مثلا، وجعلها (معرضا للصهيونية)، والاستهتار الكامل باتفاقية جنيف لدرجة الإيعاز بوقف العمل بها. ويتضح من التشريعات والممارسات الاسرائيلية، أن السلطات لا تقيم وزنا لهذه الاتفاقية أو لقرارات الأمم المتحدة، بدليل أن موضوع حقوق الانسان فى الاراضى المحتلة بما فيها القدس، ومازال مدرجا على جدول أعمال المنظمة الدولية، تناقشه فى كل دورة، وتتخذ قرارات بشأنه، استنادا الى التقارير السنوية التى ترفعها اللجنة الثلاثية الدولية، المكلفة بالتحقيق فى ممارسات اسرائيل بالمناطق

المحتلة بما فيها القدس، وذلك خلال زيارتها السنوية لها[١].

ولم يعد خافيا أن الانحياز الأمريكى لاسرائيل، هو المسؤول الأول والرئيسي عن عنادها وصلفها وتحديها للقرارات الدولية، وامعانها في غصب الحقوق وانتهاك الحرمات واحتلال الاراضى، والضغط الأمريكى هو السبب الكامن وراء فشل مجلس الأمن فى أداء مهمته بموجب ميثاق الأمم المتحدة، لأنه تارة يمارس (الفيتو) أو يهدد باستعماله، وتارة يؤلب أصوات أعضاء المجلس فى محاولة التصويت أو تمييع المواقف، لئلا يتوصل المجلس الى قرار باستخدام وسائل الردع المنصوص عنها في الفصل السابع من الميثاق[٢]. ومعلوم أن جماعات الضغط اليهودية القوية تهدف الى استخلاص تأكيدات مناصرة لاسرائيل من جميع مرشحى الرئاسة الأمريكية. بل وحتى التزامات مستقبلية بدعم اسرائيل، وقد استخدمت قضية القدس فى الحملات الانتخابية، فى محاولة لتثبيت ادعاءات اسرائيل فى المدينة المقدسة.

ولكن يتضح من التصويت الأمريكى فى الأمم المتحدة بشأن قضية القدس، أنه لا ينطبق دائما مع ماتريده اسرائيل: فقد رفضت

---

(١) انظر للمزيد، طعمة. مرجع سابق، ص ١٣١.

(٢) أكد مندوب كولومبيا في الجمعية العامة، أثناء النظر في دعوة م. ث. ف. لحضور مداولاتها أن بلاده «تؤيد القضية الفلسطينية تأييدا كاملا، ولكنها ستمتنع عن التصويت بسبب الضغوط الأمريكية التى تريد أن تحول هذا المكان الى مكان رياء ونفاق، وان تنتزع من الشعوب حقها في تقرير مصيرها». أنظر نبيل شعث (القصة الكاملة لادراج القضية الفلسطينية في الأمم المتحدة) شؤون فلسطينية العدد ٤٠ كانون الثانى/ يناير ١٩٧٤، ص ٢٩.

الولايات المتحدة الاعتراف بأن تكون القدس عاصمة اسرائيل الأبدية، كما رأينا، ولم توافق على اجراءات اسرائيل لتغيير وضع القدس، واعتبرتها اجراءات مؤقتة لا يمكن أن تؤثر على الوضع النهائى للمدينة. كما أدانت احتلال اسرائيل للقدس القديمة، وصرحت بلسان وزير الخارجية وليم روجرز (كانون الاول/ ديسمبر ١٩٦٩)، أن الولايات المتحدة مع تعاطفها عموما مع الأهداف الاسرائيلية، إلا أنها لا تؤيد بحال من الأحوال، ضم القدس لاسرائيل، وأنه لن يسمح لأى طرف أن يقرر الوضع النهائى لمدينة القدس[1]، ولكن هذا الموقف الأمريكى المنسجم مع المصالح الحيوية الأمريكية، لا يمكن أن يحجب حقيقة أن الولايات المتحدة هي ينبوع الصهيونية العالمية، ومصدر الدعم المالى والمعنوى والعسكرى والدبلوماسى لاسرائيل والصهيونية، فى الاستعمار الاستيطانى البشع، والرامى إلى اقتلاع العرب واجلائهم عن فلسطين، وتهويد القدس.

---

(١) انظر قاسمية، مرجع سابق، ص ١١١ - ١١٢، وأنظر أيضا، Pfaff, Richard H. Jerusalem, Keystone of an Arab - Esraeli Settement, Washington, 1969, pp. 43 - 24 ويرى المؤلف أن هذا الموقف الأمريكى من القدس، يرجع إلى أن القدس تمثل رمزا فريدا لدول ترتبط بها المصالح الامريكية، ومن هنا امتناع الولايات المتحدة عن الاعتراف بقرار ضم القدس.

رفض العرب والمسلمين أية تسوية
لا تتضمن اعادة القدس للسيادة العربية:

ويرفض العرب عموما مؤيدين بمجموعة الدول الاسلامية والدول الأفريقية، القبول بأية تسوية لمسألة القدس، لا تتضمن اعادتها إلى السيادة العربية، كما يرفضون أى تعديل فى وضع القدس، ويطالبون بعودتها الى الوضع السابق لعدوان حزيران/ يونيو ١٩٦٧. وبالمقابل يرى فريق من العرب أن حل قضية القدس يكمن في تبنى الوضع الدولى للمدينة المقدسة، وتنفيذ القرارات الدولية (١٨١) و(٣٠٣) مع بعض التعديل، ويطرحونه كحل ممكن في الوقت الراهن بقصد فك قبضة اسرائيل عن القدس، واكتساب التأييد الدولى لها، على أساس أن رفض العالم الاعتراف بسيادة اسرائيل على القدس، يستند إلى حد كبير على الوضع الدولى للمدينة الذى قررته الأمم المتحدة، وفى نظرهم أن الوقت الحاضر ليس ملائما للمطالبة بتنفيذ قرار التدويل، لأن اجراءات اسرائيل التهويدية منذ العام ١٩٤٨، ومسعاها الدائب لتغيير التركيب السكانى للقدس، نجم عنه تضاؤل ملحوظ فى عدد السكان العرب، وتزايد كبير فى عدد اليهود، بحيث لن تكون نتيجة التدويل سوى التهويد. ولذا لا يصح الأخذ بالتدويل قبل تنفيذ القرارات الدولية، لاعادة التركيب الديموغرافى إلى

المواطنين الأصليين من سكان القدس من عرب ويهود، منذ العام ١٩٤٨[١].

ولكن حل (التدويل) الذى يراعى قداسة المدينة لدى الأديان السماوية الثلاثة، ويلقى القبول فى الفاتيكان، يتجاوز حقيقة أساسية، هى أن القدس مدينة عربية، لا ينكر إلا مكابر طابعها التاريخى العربى والتراثى الدينى خلال الألفى سنة الماضية. واستمرار هويتها العربية ضمانة لحماية آثارها الدينية وصيانتها، ويكفى أن العرب المسلمين «كانوا ولا يزالون الأمناء على مفاتيح كنيسة القيامة، وعلى فتح أبوابها باتفاق ورضى المسيحيين، وكدليل على العلاقة الحسنة بين المسلمين والمسيحيين[٢]. وحتى العام ١٩٤٨، كان اليهود يعيشون آمنين فى القدس. متمتعين بكامل حريتهم فى ممارسة طقوسهم وشعائر عبادتهم. الأمر الذى يؤكد أهلية العرب وجدارتهم بالسيادة على القدس منذ خمسة عشر قرنا، هذا مع العلم بأن القدس العربية ليست البلدة القديمة داخل السور، بل تضم المدينة المقدسة بجزئيها الغربى والشرقى، ومايجاورها من قرى عربية.

ودون الدخول فى تفاصيل قرار مجلس الأمن (٢٤٢) بتاريخ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٦٧. فالقرار المذكور لا يطرح حلا شاملا لقضية القدس. لانه يركز على البلدة القديمة المحتلة عام

---

(١) انظر الاجراءات التى يفترض أن تقوم بها الأمم المتحدة لضمان نجاح التدويل
Catta, The Question of Jerusalem, op. cit., pp. 74 - 75.

(٢) أنظر فايز فهد جابر (موقف العالم الاسلامى من قضية القدس) عمان ١٩٨١، ص ٩ ـ ١٠.

١٩٦٧ ، ويتجاوز عن مسألة القدس الغربية المحتلة عام ١٩٤٨ .
ولكن هل القدس داخلة فى الاراضى التى يفترض أن تنسحب منها اسرائيل بموجب القرار (٢٤٢) والجواب لا . لأن اسرائيل تصرح مرارا ومنذ عدوان ١٩٦٧ أن الوضع الراهن قابل للتفاوض باستثناء القدس!

الخاتمــــة

وبعد، فقد انطوى وعد بلفور، وصك الانتداب، والاعتراف بالمنظمة الصهيونية كشريك فى إدارة فلسطين، على ما احتاجت له الصهيونية، وأفضى الى نتيجة أساسية واحدة، وهى ظهور إطار حكومى صهيونى، يستند الى الدولة المنتدبة (بريطانيا) مادام بحاجة اليها، فاذا شكل اليهود غالبية فى البلاد، أقاموا الدولة اليهودية كأمر واقع. ولكن الصهيونية زمن الانتداب لم تستطع أن تحقق أحلامها بالسيطرة على الحرم الشريف والشروع فى تهويد القدس، نظرا لضراوة المقاومة العربية الفلسطينية، وذلك برغم الهجرة اليهودية الكثيفة التى شجعتها وحمتها سلطات الانتداب، والتى بلغت نسب الغزو. ولكن ظروف التقسيم وحرب ١٩٤٨، أتاحت لليهود احتلال القدس الغربية، وتجاوز حدود التقسيم.

وكان من الطبيعى أن تكون الأمم المتحدة وأجهزتها ولجانها الرئيسية، واحدة من الساحات الكبرى التى اختارتها الصهيونية واسرائيل لشن حرب دائرة على الثورة الفلسطينية التى ولدت فى العالم ١٩٦٤، بهدف تحرير الارض الفلسطينية وشعبها من الاحتلال الاسرائيلى. وذلك بالاعتماد على الاعلام المدروس، والسياسة، واستخدام وسائل الخداع والكذب والتضليل، لاستقطاب القوى المؤثرة فى المنطقة الدولية وتوجيه ضربة قاصمة الى فلسطين ارضا وشعبا، مطمئنة إلى الدعم الأمريكى

الهائل لاسرائيل، ومساندته السياسية والاقتصادية والعسكرية. والى (الفيتو) الذى يقلب الحقائق وينتصر لشريعة الغاب، ويسلب القرار العادل والارادة الاخلاقية من المنظمة الدولية، فيصبح المعتدى هو المعتدى عليه. وهذا هو ماحدث في جلسات الأمم المتحدة التى انعقدت للنظر في عدوان ١٩٦٧، وكانت مسرحا لأخطر خرق للقانون الدولى واستهتار بحق الشعوب. مما أدى إلى حرب تشرين/ اكتوبر ١٩٧٣، ومما يؤدى الى حروب أخرى. وتمخضت الجلسات عن القرار (٢٤٢) الذى جعل التزامات اسرائيل بالتخلى عن الاراضى العربية التى احتلتها بالقوة، مشروطة بموافقة العرب على حل شامل، مما جعل الأمم المتحدة ـ ماديا، والبعض يقول قانونيا ـ مشلولة وعاجزة عن أن تنجز بذاتها حلا بالقوة، وأن تعطى موافقتها لتحقيق حل فرضته اسرا ئيل بالقوة[1].

لقد فشلت الأمم المتحدة فى احقاق الحق الفلسطيني وانقاذ عروبة فلسطين والقدس، لأن أعضاء الأمم المتحدة كانوا، ومازالوا ـ باستثناء قلة قليلة نزاهتها لا تقل عن شجاعتها ـ يتعرضون لصنوف شتى من الضغط والاغراء والتهديد والمساومة والرشوة، حتى تخرج نصوص القرارات على النحو المرسوم لها. ومادامت الأمم المتحدة (تطالب) و(تستنكر) و(تلفت النظر)... فإن اسرائيل لن تصغى إليها، ولن تكلف نفسها حتى عناء دراسة

(١) انظر بحث هارغريف المشار اليه سابقا، في طعمة، مرجع سابق، ص ١٢٦.

مطالبها، وأحيانا ترد خطابات الأمين العام اليه دون أن تفتحها.
ولن تفلح الأمم ولن تصبح قراراتها ملزمة ومحترمة، إلا عندما تكف عن (المطالبة)، وتبدأ نضالها لتتحرر من كابوس القوى المهيمنة على المنظمة الدولية. والأمم المتحدة لا يمكن أن تستمر في التعامل مع قضية القدس، كما فعلت فى الماضى، بمجرد إصدار إدانات لفظية، أو اتخاذ قرارات جديدة. فما هو مطلوب ليس قرارات، ولكن قرار بتنفيذ القرارات. ولكن لا جدوى من توجيه اللوم الى عجز الأمم المتحدة والقوى المتحكمة فى قراراتها. إن تحرير القدس وفلسطين لا يتحقق الا إذا تجاوز العرب تجزئتهم، وعجزهم عن تحقيق حدّ أدنى من التضامن، واتجهوا الى انشاء مؤسسات سياسية واقتصادية وثقافية، تحول التضامن العفوى بين اقطارهم، الى حقيقة فعلية تفرض وجودها على السياسة الدولية، بما يتناسب ومكانتهم البشرية والاقتصادية والاستراتيجية. ويومذاك، تراجع القوى الخارجية المساندة لاسرائيل سياساتها، وتتحرر انتخابات الرياسة الأمريكية من المساومات الصهيونية.

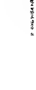
إن التضامن العربى، مطلب ملح فى هذه المرحلة التاريخية الحاسمة، أكثر من أية مرحلة سابقة، نظرا لتسارع الأحداث والتحديات الخطيرة الدائرة حول فلسطين والقدس، واستماتة اسرائيل والقوى الخارجية المؤيدة لها وخاصة أمريكا، لتثبيت الكيان الصهيونى فى قلب وطن عربى يعانى من التجزئة والانقسام، وتهويد القدس مستغلة اختلال موازين القوى الدولية

فى العالم بعد تفكك الاتحاد السوفيتى .

ولا يسع الباحث إلا أن يحذر من مغبة دفع العرب الفلسطينيين إلى مهاوى الخيبة ومزالق الاحباط ، نتيجة تضاؤل أو انعدام مساندة إخوانهم فى الوطن العربى ، فى هذه الحقبة القاسية التى تتألب فيها قوى الصهيونية والاستعمار ضدهم لابتلاع ارضهم وحقوقهم ، وانتزاع (الشرعية) لاحتلالها من ضعفهم ، برغم روعة التضحية وجمال الفداء . وفى ختام هذا السباق ، لا يرى الباحث خيرا من كلمة مندوب فلسطين ، موسى العلمى ، قبل نصف قرن ، أمام الوفود العربية فى مؤتمر الاسكندرية ، الذى انتهى بتوقيع بروتوكول الاسكندرية (تشرين الأول/ اكتوبر ١٩٤٤) ، حين مضى يسرد ملخصا مؤثرا لوضع العرب فى فلسطين . وبعد أن أوقف سامعيه على بعض الأساليب الصهيونية فى الاستحواذ على اراضى فلسطين ، قال «إن عملية محو القوى العربية مستمرة ، لم تقف منذ خمسة وعشرين عاما ، مما سيكون له نتيجة واحدة محتومة ، وهى زوال فلسطين العربية لمصلحة اسرائيل» . واستطرد قائلا : «أما لو سألمتونى ماهو الظرف الذى يسمح بذلك ، لقلت لكم بكل احترام ، هو ترك اخواننا لنا نخوض هذه المعركة العالمية وحدنا وهم واقفون ينظرون»[1] .

---

(١) انظر النص فى طربين ، مرجع سابق؟ قضية فلسطين ، ج ٢ ص ٥٨ ـ ٥٩٩ .



الفصل الرابع

موقف المسلمين في القدس أثناء الحكم الإسلامي

ويتضمن :

- صفحات ناصعة من التسامح الاسلامى
- أقوال تدعمها حقائق التاريخ
- شهادة من العدو
- حب المسلمين للقدس
- جرائم الاحتلال

بقلم
الدكتور كامل العسلى

صفحات ناصعة من التسامح الإسلامي

في تاريخ القدس في الفترة الاسلامية التى امتدت اربعة عشر قرنا صفحات ناصعة من التسامح الاسلامى تجاه اليهود فى المدينة .

وفى هذه الايام التى تبتلى فيها القدس بالبطش والتنكيل والتهويد بالقوة الغاشمة يحسن بالعالم أن يستذكر الماضى ، عسى ان يجد فى صفحاته ماقد يبرر هذا الحقد الذى يشتمل فى الجهود الاسرائيلية الحثيثة لمحو وجود أمة وحضارتها بالحديد والنار ، فماذا يجد المرء فى صفحات التاريخ . . يجد التسامح الاسلامى الذى يكافأ عليه المسلمون بكل هذا الشر الذى نشهده الآن . .

عندما يتحدث المسلمون عن التسامح الاسلامى قد لا تؤخذ اقوالهم مأخذ الجد ، ويفسر الكثيرون فى الغرب هذا الكلام بأنه من قبيل الدعاية ، وامتداح الذات ، وهو لذلك غير قابل للتصديق .

ومن هنا اخترنا ، فى هذا الحديث ، الا نتحدث نحن عن التسامح الاسلامي تجاه اليهود فى القدس ، بل ندع اليهود والغربيين انفسهم يتحدثون عن هذا التسامح ، وبذلك نعطى موضوع التسامح الاسلامى المصداقية التى يستحقها . . ومن هنا فقد التفتنا لتتبع اقوال اليهود والغربيين فى هذا التسامح الاسلامى . . وبحثنا في مصادر عديدة عما قاله المنصفون منهم فى هذا الشأن عبر التاريخ . . وقد اثبتنا هذه الاقوال لنبدد هباء

الزعم بأن التسامح الاسلامى هو مجرد زعم على ألسنة المسلمين.

ومن العجب ان حكام القدس المسلمين كانوا هم انفسهم الذين سمحوا لليهود بالعودة الى القدس بعد ان حرم عليهم الرومان والبيزنطيون سكنى المدينة أو العيش فيها، منذ القرن الثانى وحتى القرن السابع للميلاد، وهم الذين سمحوا لهم بالعودة اليها في العصور الحديثة بعد اضطهادهم فى اوروبا.

وفى هذا الشأن يقول المؤرخ الاسرائيلى زئيف فلنائى في موسوعته المسماة «موسوعة ارض اسرائيل» مايلى:

«فى كل مرة كانت القدس تخضع لحكم المسيحيين وسلطتهم لم يكن يسمح لليهود بالاقامة أو السكن فيها، ومن وجد منهم في اثناء حكمهم لها كان اما ان يقتل أو يطرد فى حين أنه حين كان المسلمون يحكمون القدس كان اليهود يستدعون الى المدينة ويسمح لهم بالعيش فيها فعاشوا فيها بسلام»[١].

ويقول الكاتب البريطانى كولن ثبرون فى كتابه القدس مايلى: (فى القرون المبكرة كان المسلمون على العموم متسامحين مع اليهود وعاشوا معهم بسلام فى الوقت الذى كانت فيه اوروبا منغمسة انغماسا كاملا فى الاضطهاد)[٢].

(١) دان المغور، القدس بنت كل الاجيال، صحيفة «يديعوت احرونوت» في ٢٩/ ١/ ١٩٩٣، ص ٢٤ ومابعدها.

(٢) Colin Thubron, Jerusalem P. 227

اقوال تدعمها حقائق التاريخ:

فمن القرن الثانى للميلاد حتى القرن التاسع عشر هنالك ثلاث فترات هامة شهدت زيادة فى عدد السكان اليهود فى القدس:

* الفترة الاولى بعد الفتح العربى للمدينة فى القرن السابع.
* الفترة الثانية بعد استرداد القدس من أيدى الصليبيين سنة ١١٨٧م.
* الفترة الثالثة بعد استيلاء العثمانيين على القدس سنة ١٥١٦م.
* وفي القرن السابع سمح لبعض اليهود حتى بالعمل كخدم فى المسجد الاقصى، ثالث الحرمين الشريفين عند المسلمين.

ولو صدقنا شهادة سلمان بن يروهام، وهو من اليهود القرائين (وقد كتب حوالى سنة ٩٥٠م) فان المسلمين سمحوا لليهود بالدخول الى الاماكن الاسلامية المقدسة، قال سلمان:

(كما هو معروف كانت القدس قد بقيت تحت حكم الروم «الرومان والبزنطيين» اكثر من خمسمائة سنة، كان محظورا خلالها على اليهود ان يدخلوا القدس، وكل من كان يكتشف منهم بداخلها كان يقتل، عندما غادرنا الروم برحمة من اله اسرائيل، وقامت مملكة اسماعيل «أى العرب»، منح اليهود الاذن بدخول المدينة والاقامة فيها)[١].

(١) F.E. Peters, Jerusalem, 193

وفى أثناء حكم صلاح الدين الايوبى استمر التسامح الاسلامى التقليدى، فمن المعروف ان الصليبيين عندما احتلوا القدس جمعوا اليهود فيها واحرقوهم فى كنيسهم، ومن سنة ١٠٩٩ الى ١١٨٧ لم يكن يسمح لليهود بالعيش فى المدينة ولكن عندما استرد المسلمون القدس سمح لليهود بالعودة، ويحدثنا الشاعر اليهودى الحريزى الذى كان فى القدس سنة ١٢٠٧م عن معنى استرداد صلاح الدين للقدس بالنسبة لليهود فيقول:

(فى سنة ١١٩٠ ميلادية ايقظ الله روح امير الاسماعيليين «صلاح الدين»، وهو رجل حكيم وشجاع، فجاء على رأس جيشه وحاصر القدس واخذها واعلن فى طول البلاد وعرضها أنه سوف يستقبل ويقبل شعب افرايم بأسره «اليهود»، من أى مكان جاءوا، وهكذا جئنا من جميع اطراف الارض لنسكن هنا، ونحن ننعم الآن بالسلام)[1].

وحول تسامح صلاح الدين يتحدث ايضا المؤرخ الالمانى اليهودى البارز فى القرن التاسع عشر هاينرش غريتس Heinrich Graets فيقول فى كتابه تاريخ اليهود Deschichite der Juden المنشور سنة ١٨٥٣ «المجلد الحادى عشر» يقول ان السلطان:

(فتح ابواب السلطنة كلها امام اليهود المضطهدين، فجاءوا اليها ينشدون الامن ويجدون العدل)[2].

---

(١) Peters, Jerusalem 363.

(٢) عبد اللطيف الطيباوى، دراسات عربية واسلامية، ص ١٩.

وفي الوقت الذي كان اليهود يهربون فيه من اسبانيا ويلجأون الى البلاد العربية، وغيرها (فى القرنين الخامس عشر والسادس عشر) فتحت الدولة العثمانية لهم ابوابها واعطتهم حق اللجوء ومن المعروف ان المصرفى اليهودى البارز دون يوسف ناسى Don Joseph Nasi اللاجئ من البرتغال عين مستشارا للسلطان سليمان الذى احاطه بصنوف التكريم.

وهناك شهادات كثيرة ليهود بارزين اعربوا فيها عن امتنانهم للعثمانيين لمعاملتهم الكريمة لليهود الهاربين، فالمؤرخ أ. ل. سخسر A.L. Sacher الذي تولى ذات يوم رئاسة جامعة براندس Brandeis الامريكية يقول فى الفصل السابع عشر من كتابه (تاريخ اليهود) History of the Jews مايلى:

(لقد وجد اليهود ملجأ فى الممتلكات العثمانية، قبل طردهم النهائى من اسبانيا بعدة عقود، وخلال اضطهادات اليهود فى المانيا فى القرن الخامس عشر هرب الآلاف منهم الى الشرق واستقبلوا استقبالا حسنا فى الولايات التركية، كانت الحياة آمنة، وكان اليهود يتطلعون الى الغد دون فزع، لم يكن هناك شارات مميزة تحط من شأنهم، ولم يكن هناك قيود ظالمة خاصة بمكان السكن أو بتعاطى التجارة، ولم تكن تفرض عليهم الا جزية ضئيلة كان يدفعها كل من عداهم من غير المسلمين، ان استضافة الحكام الاتراك كانت بمثابة نعمة من عند الله لضحايا التعصب الاسبانى والبرتغالى)[١].

---

(١) A.L. Sachar, History of the Jews P. 221

وفى فلسطين ازدادت الجالية اليهودية الصغيرة بسبب المهاجرين الذين فروا من محاكم التفتيش الاسبانية وتم ايواؤهم فى القدس وصفد.

وقد علق دافيد دى روسى David die Rossi وهو يهودى ايطالى زار القدس فى القرن السادس عشر، علق على الحياة اليهودية فى المدينة بقوله:

(هنا نحن لسنا فى منفى كما فى بلادنا «ايطاليا» ذاتها... هنا المعينون لجباية الضرائب والمكوس هم من اليهود.. وليست هناك ضرائب خاصة باليهود)(١).

ونجد هذا التفاؤل نفسه عند سولون بن حايم ماينسترل من لودنبورغ Solomon Ben Hayyim Meinstrel of Ludenurg الذى زار الاراضى المقدسة سنة ١٦٠٧، وكتب يقول:

(ان الاجانب «غير اليهود» الذين يعيشون على ارض اسرائيل.. يولون قبور قديسينا احتراما كبيرا، وكذلك الكنس، هم يضيئون القناديل والشموع عند قبور القديسين وينذرون بأن يزودوا الكنس بالزيت)(٢).

شهادة من العدو:

ومماهو جدير بالاشارة اليه ان الاستاذ امنون كوهين من اساتذة الجامعة العبرية بالقدس، أكد فى دراسة جيدة وضعها عن الحياة

(١) Peters, 484
(٢) Peters, 484

اليهودية في القدس فى القرن السادس عشر استنادا الى سجلات محكمة القدس الشرعية، الموقف الايجابى الذى كانت تقفه السلطات العثمانية من اليهود، كما اكد ان القيود المالية التى تفرضها الشريعة الاسلامية لم تكن تطبق بصورة حرفية، وفصل ذلك بقوله: ان هناك من اليهود من لم يكونوا يدفعون الجزية المفروضة عليهم، اما اولئك الذين كانوا يدفعونها فكانت تحسب عليهم وفق أدنى درجاتها، وأضاف قائلا ان جهاز الرقابة التنفيذى كله، الذى كان يراقب تنفيذ الشريعة، كان فى كثير من الاحيان يميل لمصلحة اليهود، كما ان المحاكم كانت تحمى اليهود، وكانت تقبل شهادات المتقاضين والشهود اليهود، خلافا للاعتقاد السائد بان شهادات هؤلاء لم تكن مقبولة، وختم كوهين كلامه بالقول: ان الحكام المسلمين شجعوا، ودعموا قيام حياة استقلال ذاتى لليهود فى القدس)[1].

ان التسامح الذى وصفناه فى الصفحات السابقة يعود الفضل فيه فى الدرجة الاولى الى روح الاسلام وموقفه من اهل الكتاب من نصارى ويهود، وكذلك الى تعظيم الاسلام لمدينة القدس، لقد مجد الاسلام الانبياء ورسالاتهم واحلها مكانة عالية من الاحترام، بل ان الدين الاسلامى اعتبر رسالته استمرارا وتتمة للرسالتين الموسوية والمسيحية، وجعل القدس مناطا للتقديس لانها مدينة الرسل والانبياء، ومن اجل هذا جعلت القدس القبلة

(١) Asali, Jerusalem in History, P. 207

الاولى، واسرى بالنبى عليه السلام اليها ليلة الاسراء، ولهذه الاسباب كانت القدس ثالثة المدن الاسلامية المقدسة (بعد مكة والمدينة).

حب المسلمين للقدس:

وكان تعلق المسلمين بالقدس شديدا بحيث جعلت الصلاة فيها بخمسمائة صلاة فى غيرها، وكان المسجد الاقصى احد المساجد الثلاثة التى تشد اليها الرحال للصلاة والتبرك وفى يوم الحشر تجتمع الخلائق كلها فى القدس، ولهذا طلب كثير من المسلمين ان يدفنوا فى القدس ووضع علماء المسلمين حوالى سبعين كتابا في فضائل بيت المقدس، ونظرا لهذا التعظيم للقدس فقد صانها المسلمون وجنبوها ويلات الحروب والدمار، وقد افتتحوها غير مرة سلما وتحاشوا اراقة الدماء فى كل مرة، وقد كان موقفهم منها فى هذا الشأن يختلف اختلافا صارخا عن موقف الصليبيين في القرن الحادى عشر وموقف الصهيونيين في القرن العشرين.

وبمجئ القرن العشرين تغير كل شئ، فالعلاقات الطيبة بين العرب واليهود اصبحت من تراث الماضى، وخصوصا عندما بات واضحا للجميع ان اسرائيل جاءت بدعم شامل من الغرب لتغزو المدينة وتطرد سكانها وتغير هوية القدس وفلسطين كلها تغييرا شاملا، ان وعد بلفور والانتداب البريطانى وجشع الصهيونيين لم تدع مجالا للسلام، بل افعمت الارض المقدسة بأجواء الكراهية والحرب، ولا مجال هنا لان نفيض ونكرر الحديث عن الويلات

والفظائع التى أنزلها الصهيونيون بأهل البلاد بتشجيع ودعم كاملين من الدول الغربية التى جعلت العرب يدفعون غاليا، بالارواح والاموال، ثمنا للاضطهاد الذى لحق باليهود فى اوروبا، ويكفى ان نقدم مثلا واحدا، وهو مثل رمزى:

جرائم الاحتلال اليهودى:

فى مساء اليوم الثامن من حزيران/ يونيو ١٩٦٧، أي بعد احتلال الصهيونيين للقدس القديمة بثلاثة ايام، تم نسف حارة المغاربة المجاورة للحرم الشريف وتسويتها بالارض، وقد امر حوالى ١٠٠٠ من سكانها بمغادرة بيوتهم خلال ساعتين، ثم هدمت البيوت وعددها ١٣٥ بيتا، بعمل عنيف قامت به وحدة من جيش الاحتلال الاسرائيلى، وخلال ايام قليلة اصبحت هذه الاوقاف الاسلامية التاريخية كومة من الانقاض، ولم يكن هذا العمل سوى الخطوة الاولى فى عملية طويلة دعيت فيما بعد بـ (التجديد الحضرى)، وكانت تهدف الى تغيير المدينة وحرمان المالكين من ممتلكاتهم ووسائل عيشهم. ومن العجب ان المغاربة، سكان هذا الحى المعروف باسمهم، كانوا يحمون جيرانهم فى حارة اليهود المجاورة ويدافعون عنهم ازاء أى تعنت أو ظلم كان يقدم عليه الحكام بحقهم، ولدينا وثيقة قديمة مؤرخة فى سنة ٧٩٥هـ (١٣٩٣م) يتبين ان شيخ المغاربة فى القدس قدم شكوى الى والى دمشق يحتج فيها على والى القدس لان هذا تعدى على حقوق افراد عائلة يهودية وحرمهم بلا وجه حق من

ارثهم الذى خلفه قريب متوفى[1]، ولكن المغاربة كان مقدرا لهم ان يكون جزاء هذه المعاملة الكريمة نسف حارتهم سنة ١٩٦٧ .

ان حادثة نسف حارة المغاربة هى رمز ايضا يلخص ماحدث لسكان القدس جميعا نظير تسامحهم ومعاملتهم الحسنة لليهود طوال العصر .

ومنذ نسف حارة المغاربة اتخذت السلطات الاسرائيلية سلسلة طويلة من الاجراءات ضد القدس وسكانها والادارة الوطنية فيها مع تجاهل تام للقانون الدولى ومقررات الأمم المتحدة، وهى اجراءات مستمرة بتسارع الآن وتهدف الى محو الوجود العربى وتهويد المدينة بصورة تامة، لكن الامعان في تجاهل الحقوق العربية وخرق القرارات الدولية لا يسد المنافذ الى السلام فحسب، بل يهدد الشرق الاوسط كله بالوقوع فى فوضى ومواجهات لا نهاية لها .

وحتى هذه الايام التى تبذل فيها محاولات لاعادة السلام الى الارض المقدسة يكون من الاهمية القصوى ان نذكر ان القدس هى لب المشكلة كلها، ومفتاح السلام الحقيقى واى محاولة لتجاهلها وتجاهل مشكلتها ستكون عقبة مدمرة فى وجه اى حل، ان اى حل لقضية القدس يراد له البقاء يجب ان يقوم على عدد من المبادئ التي لا غنى عنها :

---

(١) كامل العسلى، وثائق مقدسية تاريخية (المجلد الأول، ص ٢٧٠ ـ ٢٧٢).

* قبل كل شئ لا يجوز لشعب او جنس ان يسيطر على مقدرات شعب آخر، ولا يجوز ان يسمح لدين باغتصاب حقوق دين آخر.

* يجب ان يمنح سكان القدس العربية الحق فى تقرير المصير.

* الأماكن المقدسة ينبغى ان تتمتع بالاحترام التام والعناية التامة وان تكون حرية الوصول اليها مكفولة.

* اعلان حقوق الانسان والقرارات الدولية يجب ان تطبق ايضا في القدس.

ويمكن القول ان الحلول السياسية تعكس اوضاعا قائمة بالفعل، وان ميزان القوى يقرر كل شئ، وان مبدأ «القوة هي الحق» هوالذى يطبق فعليا فى عالم السياسة مع كل مايجره من نتائج قاسية.

لكن دروس التاريخ تعلمنا ان الاوضاع تتغير، وان من يتمتع بالبصيرة وبعد النظر يدرك ان الحلول البعيدة النظر وحدها، هى التى تصمد لتقلبات الزمان وتقبلها الاجيال القادمة، ان الموقف المتصلب الحالى للحكومة الاسرائيلية القائم على إدعاءات القوة والغلبة، سيثبت في نهاية الامر أنه عقيم تماما، كما ان مبدأ «القدس غير قابل للتفاوض»، هو مبدأ ينسف امكانيات التعايش السلمى من اساسها.

ان اليهود سيظلوا يشعرون بعدم الاطمئنان ماداموا يتجاهلون حقوق الآخرين فى ان يعيشوا في بلادهم بحرية وكرامة، واخيرا

لقد اثبتت تجربة خمسة آلاف عام ان كل من جاء الى القدس بقوة السلاح كان يسعى الى ان يثبت اقدامه فيها برغم ارادة قطاع كبير من سكانها ومواطنيها، وكان يدعى ان القدس باسرها هى له وهى ملكه، وهى عاصمته الابدية، ولكن سرعان ماكانت تتحول هذه الازلية الى وجود مؤقت وتبقى القدس الاسلامية الحديثة قائمة.

الفصل الخامس

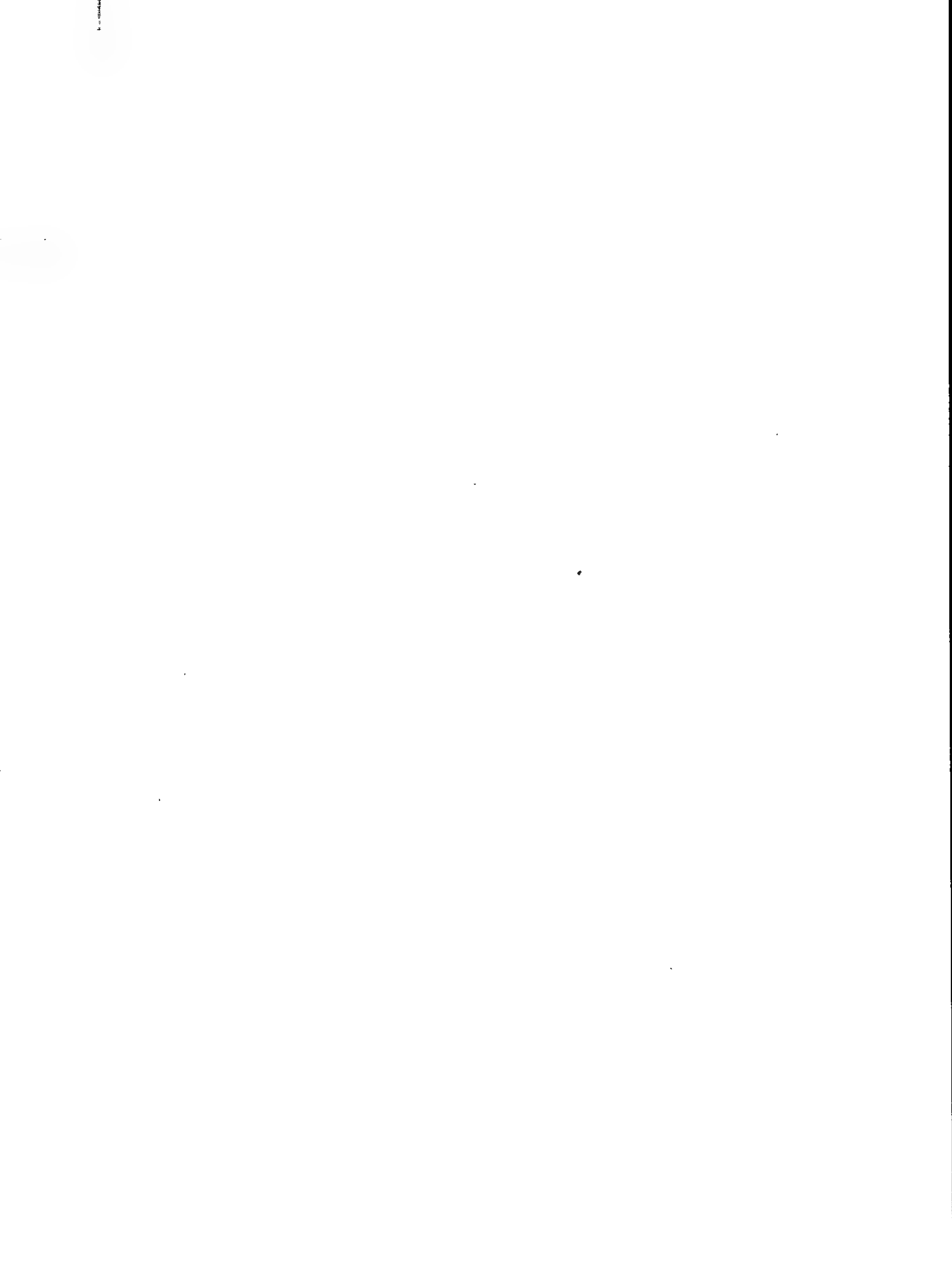
الاستيطان اليهودى فى القدس

ويتضمن :

- السكان.
- الاستيطان.
- التعليم.
- آثار اسلامية.
- الحقوق الدينية والتاريخية المزعومة لليهود.

اعـداد

الدكتور عبد العزيز عوض



السكان :

اقامت مجموعات صغيرة من اليهود فى فلسطين بعد تدمير الهيكل فى عام ٧٠م، وكان اغلبهم يعمل فى التجارة، وبعد الفتح الاسلامى لبلاد الشام سمح المسلمون لليهود بالاقامة فى القدس فكان لهم فيها (حارة اليهود) وحافظ المسلمون على حقوقهم كأهل ذمة[١].

وشهدت بلاد الشام فى بداية الحكم العثمانى لها فى الربع الاول من القرن السادس عشر استقرار نحو الف عائلة يهودية في القدس وصفد والخليل اقام حوالى ثلاثمائة عائلة منها فى القدس[٢] وشهد القرن السابع عشر زيادة عدد الطائفة اليهودية السفاردية فيها، ثم جاء القدس يهود آخرون من بولندا فى عام ١٧٧٧م مما ساهم فى تأسيس طائفة اشكنازية الى جانب الطائفة السفاردية وعلى الرغم من ذلك فان عدد اليهود فى القدس لم يتجاوز بضع مئات[٣] حتى عام ١٧٩٣ .

وهكذا ظل اليهود اقلية ضئيلة لا شأن لها فى القدس يغادرونها

---

(١) رشاد الامام «القدس فى العصر الوسيط» شؤون عربية العدد ٤٠ ص ٦٣ .

(٢) بهجت حسين صبرى «لواء القدس ١٨٤٠ ـ ١٨٧٣» المؤتمر الدولى الثالث لبلاد الشام، المجلد الاول، عمان ١٩٨٣» ص ٣٣ .

(٣) امين عبدالله محمود، مشاريع الاستيطان اليهودى منذ قيام الثورة الفرنسية، عالم المعرفة (٧٤)، ص ٣٩ ـ ٤٠ .

بين الحين والاخر وقدر عددهم فى فلسطين فى العقد الاول من القرن التاسع عشر بحوالى ثمانية آلاف[١] ففى عام ١٨٠٦ بلغ عددهم نحو الفى نسمة فى القدس ارتفع ليصل الى حوالى ثلاثة آلاف نسمة في عام ١٨١٩، ثم طرأت زيادة أخرى في العقدين التاليين نتيجة هجرة مئات من يهود صفد بسبب الهزات الارضية[٢] التي حدثت فيها (١٨٣٤ ـ ١٨٣٧)، وفى عهد الادارة المصرية فى بلاد الشام (١٨٣١ ـ ١٨٤٠) تحسنت اوضاع الطوائف اليهودية فى فلسطين، فقد اعفاهم الحكم المصرى، من المغارم التى كان الباشا العثمانى يفرضها عليهم. واصبح لهم تمثيل فى المجالس المحلية الجديدة كما خففت عنهم الضرائب[٣]، وفي احصاء جرى لطائفة اليهود فى عام ١٨٣٩م بلغ عدد افرادها نحو ٦٥٠٠ نسمة أقام نصفهم فى القدس، بينما تذكر احصائية اخرى ان عددهم فى القدس حوالى ٥,٥٠٠ نسمة واقام ٣٥٠٠ نسمة فى المدن الاخرى[٤] ثم قدروا فى عام ١٨٤٥ بحوالى ١١,٠٠٠ نسمة فى كل فلسطين.

ويبدو ان هذه الزيادة الملحوظة تعود الى تحسن اوضاع اليهود فى القدس بعد عودة الحكم العثمانى اليها فى عام ١٨٤٠، وبخاصة بعد صدور فرمان من السلطان عبد المجيد (١٨٣٩ـ

(١) هنرى كتن، فلسطين فى ضوء الحق والعدل، بيروت، ١٩٧٠، ص ٧٠.
(٢) سمير جريس، القدس، المخططات الصهيونية، الاحتلال، التهويد، بيروت ١٩٨١ ص ١٦
(٣) صبرى، «لواء القدس..»، ص ٣٣.
(٤) (F.O. 78/368 No. 13 Jerusalem, 25th May 1839)

١٨٦١)، في شهر تشرين الاول/ اكتوبر ١٨٤٠ يكفل لليهود الحماية وحرية العبادة[١]، كما اصبح لطائفة اليهود السفارد فى فلسطين أكبر مسؤول أمام حاخام اليهود في استانبول واتخذ القدس مقرا له ومارس صلاحيات ادارة شؤون طائفته الدينية والدنيوية فى المجالين القضائي والسياسى فأصبح لليهود السفارد وضع خاص لاهتمام الدولة بمركز مدينة القدس[٢].

كما ادى تنافس قنصليات الدول الاوروبية على تقديم الحماية لليهود فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر الى زيادة عددهم فى القدس فكان منهم تحت حماية النمسا حوالى ثلاثة آلاف نسمة وتحت حماية بريطانيا حوالى الف نسمة وتحت حماية المانيا وهولندا والولايات المتحدة حوالى الف نسمة[٣]، وقد شجعت الحماية التى اصبغتها بريطانيا على اليهود فى القدس الى زيادة نسبتهم فيها، ففى عام ١٨٦٤ قدر عدد سكان القدس بحوالى ١٨,٠٠٠ نسمة نصفهم من اليهود[٤] وتشير الاحصاءات الى ان عدد اليهود فى فلسطين قد بلغ فى عام١٨٦٥ حوالى ٢٤,٠٠٠ نسمة[٥] ويذكر مصدر آخر ان عددهم لم يتجاوز ٢٠,٠٠٠ نسمة

---

(١) جرجس القدس . . . .، ص ١٨.

(٢) صبرى، «لواء القدس. . .» ص ٣٣ـ ٣٤.

كان السلطان محمد الثاني ـ الفاتح ـ (١٤٥١ ـ ١٤٨١) قد سمح لليهود بالاستقرار فى القسطنطينية بعد فتحها فى عام ١٤٥٣ وعين لهم «حاخام باشى» خلع عليه سلطات واسعة على الرعايا اليهود فى الدولة العثمانية، وبعد طرد اليهود من الاندلس أصدر السلطان بايزيد الثانى (١٤٨١ـ١٥١٢) فرمانا يقضى بحسن معاملة المهاجرين اليهود فى املاكه.

أنظر: عبد العزيز محمد عوض، مقدمة فى تاريخ فلسطين الحديث ١٨٣١ ـ ١٩١٤ بيروت، ١٩٨٣.

(٣) جريس القدس . . . . . .، ص ١٨.

(٤) F.O. 78/1875 No. 5 Consular. Jerusalem, 11 th. January 1865

(٥) ميساء سخطية «الاستراتيجية الصهيونية فى الهجرة والاستزراع الاقتصادى» شؤون عربية، العددان ٣٣ـ ٣٤، ١٩٨٣، ص ٥٠.

فى عام ١٨٨٠م[١] وبذلك تضاعف عدد اليهود خلال الفترة (١٨٤٠ ـ ١٨٨٠) من نحو عشرة آلاف يهودى الى حوالى ٢٥,٠٠٠ يهودى[٢].

وفي عام ١٨٨٧ وصل عدد اليهود فى القدس الى ١٤,٠٠٠ نسمة تقريبا، والى ٢٠,٠٠٠ نسمة في عام ١٨٩٠ بينما بلغ عدد سكان القدس فى نفس العام حوالى ٤٥,٠٠٠ نسمة[٣]، وتذكر مصادر اخرى ان عدد اليهود فى القدس بلغ حوالى ٢٨,٠٠٠ نسمة في عام ١٨٩٥ وبذلك شكلوا ٦٠٪ من مجموع اليهود فى فلسطين، كما زاد عدد السكان اليهود فى فلسطين من ٤٧,٠٠٠ نسمة فى عام ١٨٩٠ الى حوالى ٥٠,٠٠٠ نسمة[٤] في عام ١٨٩٧، ولكن عدد اليهود فى القدس بلغ فى عام ١٩٠٤ حوالى ٤٠,٠٠٠ نسمة فشكلوا اكثرية السكان. وكان حوالى ١٠,٠٠٠ نسمة منهم مسجلين فى القنصليات الاجنبية وحوالى ١٥,٠٠٠ نسمة فى سجلات الدولة العثمانية و(١٥,٠٠٠) نسمة بدون جنسية[٥].

أما فى عام ١٩٠٨ فقد وصل عدد اليهود فى فلسطين الى ٨٠,٠٠٠ نسمة بزيادة ٥٠,٠٠٠ منذ عام ١٨٨٢ وهو العام الذى

---

(١) كتن، فلسطين....، ص ٧.

(٢) احمد عبد الرحيم مصطفى، «موقف الدولة العثمانية من الهجرة الصهيونية الى فلسطين، المؤتمر الدولى الثالث ببلاد الشام المجلد الثالث، عمان، ١٩٨٣.

(٣) الموسوعة الفلسطينية، مجلد ٣، ص ٥١٤، وانظر: جريس، القدس....، ص ١٩.

(٤) مصطفى «موقف الدولة العثمانية» ص ٦٦٤.

(٥) وجيه كوثرانى «فرنسان وفلسطين والصهيونية فى مطلع القرن العشرين، المؤتمر الدولى الثالث لبلاد الشام، المجلد الثالث عمان، ١٩٨٣.

بدأت فيه الدولة العثمانية بفرض القيود على هجرة اليهود الى فلسطين[1] وأدى تدفق الاعداد الكبيرة لليهود على فلسطين ومعظمهم من الفقراء إلى سوء أحوالهم المعيشية، فالتمس يهود القدس من اغنياء اليهود فى اوروبا المساعدات المالية، وكان البارون روتشيلد اكثرهم سخاء فى تقديم الاموال وفى الانفاق على تأسيس المستوطنات الزراعية فى فلسطين[2].

وتوزع اليهود فى عام ١٩١٠ بنسبة ٦٠٪ فى القدس، و٢٥٪ فى يافا وصفد وطبرية والخليل و١٥٪ فى المستوطنات[3]، وقدر عدد سكان القدس فى عام ١٩١٣ بنحو ٩٠,٠٠٠ نسمة ولكن العدد انخفض إلى ٥٠,٠٠٠ نسمة فى عام ١٩١٧ بسبب هجرة اليهود من القدس إلى مصر أثناء الحرب العالمية الاولى، وهو يعادل ماكان عليه فى عام ١٨٩٦، ولكنه عاد فارتفع مرة أخرى فى عام ١٩٢٠ فاصبح ٦١,٠٠٠ نسمة، وفى نهاية عام ١٩٤٤ وصل العدد إلى ١٥٧,٠٠٠ نسمة، وفى عام ١٩٤٧ أصبح ١٦٤,٥٠٠ نسمة موزعين على النحو التالى: ٦٣,٦٠٠ عربى، و١١,٢٠٠ يهودى فى البلدة القديمة و٨٨,٠٠٠ يهودى ١٥٠٠٠ عربى فى البلدة الجديدة وبذلك شكل العرب ٨٥٪ من سكان البلدة القديمة بينما شكل اليهود ٦٠٪ من مجموع السكان فى البلدتين القديمة والجديدة[4].

---

(١) مصطفى «موقف الدولة العثمانية» ص ٦٧١.

(٢) F.O. 195/2255 No. 62 Jerusalem, 16th. Nov. 1907

(٣) Arthur Ruppin, The Jews of today, London, 1913, p. 283

(٤) الموسوعة الفلسطينية، مجلد ٣، ص ٥١٤.

واستغل اليهود فى القدس التسهيلات التي منحها الانتداب البريطانى لهم بتعيين مجلس بلدى يتألف من اثنين من المسلمين، احدهما رئيس للبلدية واثنين، من المسيحيين واثنين من اليهود احدهما نائب للرئيس[١]، فاحتج المجلس المحلى اليهودى فى القدس فى عام ١٩٢٧ على نسبة تمثيل اليهود فى مدينة القدس حيث قدر عدد السكان فيها بنحو ٨٦,٠٠٠ نسمة منهم ٥٣,٠٠٠ نسمة من اليهود شكلوا ٦٢٪ من السكان، بينما كانت نسبة تمثيل الاعضاء اليهود فى المجلس البلدى للقدس ٣٣٪[٢]، ويتضح مما سبق استمرار الحركة الصهيونية فى السعى للسيطرة على المجلس البلدى وغيره من مؤسسات الحكم المحلى لتهويد القدس وطرد السكان منها وبناء مساكن جديدة للمهاجرين اليهود ليصبحوا اكثرية السكان وقد نجحت فى تنفيد مخططها[٣] بدعم من الدوائر الاستعمارية البريطانية.

الإستيطان :

نجح موسى مونتفيوري فى الحصول على فرمان من السلطان عبد المجيد (١٨٣٩ ـ ١٨٦١) فى عام ١٨٤٩ سمح بموجبه لليهود بشراء بعض الاراضى، وكان اللورد بالمورستون قد زوده برسائل توصية خاصة لانجاح مهمته فى استانبول، وبمساعدة السفير

(١) جريس، القدس ...، ص ٢٦.
(٢) محمد عبد الرؤوف سليم، نشاط الوكالة اليهودية لفلسطين منذ نشأتها وحتى قيام دولة اسرائيل ١٩٢٢ ـ ١٩٤٨، بيروت ١٩٨٢.
(٣) محمد سلامة النحال: فلسطين ارض وتاريخ بيروت، ١٩٨١، ص ٢٠٦.

البريطانى فى العاصمة العثمانية، اشترى مونتفيورى أراضى بين يافا والقدس، واقام فيها أقدم المستوطنات اليهودية فى فلسطين[1]، كما تمكن مونتفيورى فى عام ١٨٥٥ من الحصول على فرمان آخر بشراء اول قطعة فى القدس خارج سور المدينة القديمة، وبدلا من ان يقيم عليها مستشفى، كما ورد فى الفرمان، أقام عليها مساكن شعبية بعد تدخل السفير البريطانى فى استنابول مرة أخرى لدى السلطات العثمانية، وقد عرف الحي فيما بعد باسم «حي مونتفيورى» وقد بدأ العمل به فى عام ١٨٥٩ بالقرب من بوابة يافا خارج السور ليصبح نواة للجزء اليهودى من مدينة القدس، وقد أخذ بالامتداد واحكام الطوق خلال الاعوام التالية.

ولم تمض سوى فترة قصيرة من الزمن حتى تم إنشاء عدة أحياء يهودية فى القدس، بلغت حتى عام ١٨٩٢ ثمانية أحياء، وفى هذه الأثناء أخذ البناء ينتشر من بوابة يافا إلى بوابة دمشق، ومع نهاية القرن التاسع عشر اقيمت أحياء أخرى على امتداد الطرق المؤدية الى بوابات المدينة الغربية والشمالية والجنوبية، وقد اقيمت هذه الاحياء على ارض استطاعت المؤسسات اليهودية أولا ثم الصهيونية فيما بعد شراءها بالتحايل على القانون الذى يمنع بيعها لليهود، بمساعدة القنصل البريطانى فى القدس، وهكذا مع دخول القوات البريطانية القدس فى ١١ كانون الاول/ ديسمبر ١٩١٧

(١) حسن ريان «الاطماع الصهيونية فى فلسطين منذ النصف الثانى من القرن التاسع عشر، المؤتمر الثالث لتاريخ بلاد الشام، المجلد الثالث، عمان ١٩٨٣.

أنجز المخطط الصهيونى مرحلة مهمة لمحاصرة مدينة القدس وتحقيق أكثرية سكانيه فيها [١].

وفى عام ١٩١٨ نصت الخطة الهيكلية الاولى، التى وضعها مهندس مدينة الاسكندرية ماكلين للقدس، على منع البناء فى المناطق المحيطة بالبلدة القديمة، ووضعت قيودا على البناء فى القسم العربى من القدس (المنطقة الشرقية). أما القسم اليهودى من القدس (المنطقة الغربية) فقد اعتبر منطقة تطوير مما ساهم فى تنفيذ المرحلة الثانية من المخطط الصهيونى لاحتلال القدس، المتضمن تعزيز الوجود اليهودى فيها، واحكام تطويقها بالاحياء اليهودية، لمنع اى توسع عربى محتمل مثل السيطرة على الحكم البلدى فيها، كخطوة نحو الاحتلال الكامل للمدينة وتحويلها الى عاصمة للدولة اليهودية الموعودة، وتمثل فى ارتفاع معدل الهجرة الى فلسطين، مما ساهم في تعزيز الجالية اليهودية فى القدس وقلب الوضع الديمغرافى لصالح اليهود فيها[٢].

كذلك حصلت مدينة القدس على نصيب وافر من تدفق الاموال اليهودية لتكون مركزا سياسيا واداريا وتعليميا، فأصبحت مقرا للجنة التنفيذية للمنظمة الصهيونية العالمية والوكالة اليهودية والصندوق التأسيسى والصندوق القومى اليهودى والمجلس الوطنى لليشوف والحاخامية الرئيسية، وفى عام ١٩٢٥ دشنت

(١) جريس القدس. . . . ، ص ٢١ ـ ٢٢.
(٢) المصدر نفسه، ص ٢٣ ـ ٢٤.

الجامعة العبرية فى القدس وشملت المكتبة الوطنية، وفى عام ١٩٣٩ افتتح مستشفى هداسا الجامعى، واقامت الحركة الصهيونية عددا من المؤسسات السابقة على هضبة سكوبس فى شمال شرقى المدينة القديمة، مما جعلها شبه محاصرة، وقد ساهمت الاحياء اليهودية الجديدة فى سد الفجوات بين الاحياء القديمة وزيادة احكام الحصار[1] حول القدس.

التعليم :

أدركت الحركة الصهيونية أهمية الهجرة والاستيطان للاستيلاء على الارض العربية فى فلسطين، واهمية التعليم لتربية الناشئة اليهودية على التمسك بالارض وتحقيق الحلم الصهيونى فى الاستقرار[2] بغرس الحب العميق للارض وزيادة الجاذبية الخاصة لفلسطين فى أفئدة الاطفال اليهود[3]، ولذلك كان الاهتمام بالتعليم احد المقومات الاساسية التي اهتمت بها الحركة الصهيونية لابراز الشخصية اليهودية.

وبدأ التعليم اليهودى فى فلسطين مع بداية موجات الهجرة اليها، فوجدت فى القدس وغيرها من المدن التى استقر اليهود فيها ثلاثة انواع من المدارس :

---

(١) جريس القدس ص ٢٥.

(٢) عبد المالك خلف التميمى، الاستيطان الاجنبى فى الوطن العربى، عالم المعرفة (٧١) - ص ١٦٣.

(٣) سليم، نشاط الوكالة اليهودية.. ص ٣٥٢.

(أ) المدارس اليهودية التقليدية :

على الرغم من الكثرة النسبية لعدد اليهود فى القدس فى عام ١٨٨٥ فان حالة التعليم عندهم كانت متخلفة حيث بلغ عدد مدارسهم فى القدس ويافا والخليل ٨٨ مدرسة ابتدائية ضمت ١٩٢٤ طالبا و٣٦٠ طالبة، واشتملت موضوعات الدارسة فيها على التوراة والتلمود وشروحاتها مع تعليم العبرية والحساب. ومن المدارس اليهودية في متصرفية القدس دار الايتام الالمانية اليهودية، وكان فيها ١٦ طالبا داخليا و١٨ طالبا خارجيا، وكان التعليم فيها ابتدائيا، أما مدرسة ايفلين للبنات فكان فيها ١٦٠ طالبة وكانت تدرس العبرية والفرنسية وشغل الابرة والتطريز، وكانت جميع المدارس والمؤسسات اليهودية تتلقى مساعدات متنوعة من اوروبا من الاعانات والجبايات[١].

(بـ) مدارس الإرساليات اليهودية :

ساهم الاليانس الاسرائيلى العالمى الذى تأسس فى باريس والجمعية الانكليزية اليهودية التى تأسست فى لندن ١٨٧١ فى انشاء مدارس لليهود فى فلسطين، وكانت هذه المدارس حديثة فى اساليبها وموضوعاتها، وجاءها المدرسون من فرنسا وبريطانيا[٢]

---

(١) F.O. 195/1514 NO. 12 Jerusalem, 4th. Dec. 1885

(٢) Noah Nardi, Education in Palestine 1920-1945. (U.S.A, 1945) P.P. 17-18

والمانيا . مثل مدرسة مكفا اسرائيل الزراعية، واشتمل التعليم فيها على اللغة العبرية والزراعة والحرف وكانت المدرسة مكتفية ذاتيا[١] باستغلال اراضيها الزراعية وبلغ عدد طلابها فى آخر العهد العثمانى ١٠٠ طالب يدرس لهم ١٥ مدرسا[٢] .

(ج) المدارس الصهيونية :

وبدأت بعد المؤتمر الصيهونى الاول (بال ١٨٩٧) واهتمت بطبع التعليم بالطابع العبرى مثل (جمعية أحباء صهيون) التى استطاعت أن تحقق هدفها بالتدريس بالعبرية بعد ان تمكنت فى عام ١٩٠٣ من انشاء مدرسة عالية لتعليم اللغة العبرية، ثم تشكلت نقابة للمدرسين سيطرت فيما بعد على توجيه التعليم اليهودى فى فلسطين، حيث بلغ عدد المدارس التى استعملت العبرية كلغة وحيدة فى التعليم فى آخر العهد العثمانى ستين مدرسة ابتدائية فى المدن، ومدرستين ثانويتين فى القدس ويافا ومعهد لتدريب المعلمات فى يافا ومدرسة للفنون فى القدس[٣] .

وأشرفت الوكالة اليهودية على التعليم اليهودى فى فلسطين فى عهد الانتداب، وتمكنت الوكالة خلال مدة اشرافها التى استمرت حتى عام ١٩٣٢ من ارساء قواعد التعليم الصهيونى فى فلسطين[٤]، ونجحت فى الحصول على حصة اليهود من المبالغ

---

(١) F.O. 195/1514 NO 12 Jerusalem, 4th. Dce. 1885

(٢) Sokolow, History of Zionism, Vol, 11. (London 1919) P. 328

(٣) Esco Foundation For Palesine, Vol, 1, (U.S.A, 1947) P. 53.

(٤) سليم، نشاط الوكالة اليهودية . . . ، ص ٣٦٠.

السنوية المخصصة فى ميزانية حكومة الانتداب التى لم تتمكن من السيطرة على شؤون التعليم فى المدارس اليهودية كما فعلت فى المدارس العربية[1]، وفى عام ١٩٣٢ تركت الوكالة اليهودية ادارة التعليم اليهودى الى المجلس المحلى ليهود فلسطين، حيث اقتصر دورها على تقديم المعونات المالية حتى عام ١٩٤٨، وكان لليهود فى القدس آنذاك ٢٧ مدرسة عامة و١٠ مدارس خاصة.

وقد تأثرت المدارس السابقة بفكرة إحياء اللغة العبرية واستعمالها فى التعليم كما كانت متحدة فى الاطار العام لمناهج الدروس[2]، وفى المؤتمر الصهيونى الحادى عشر (فينا ١٩١٣) تقرر انشاء الجامعة العبرية وشكلت لجنة لمتابعة المشروع تمكنت من اختيار موقعها فى احدى ضواحى القدس.

الجامعة العبرية:

تقع الجامعة العبرية على جبل الزيتون، وتعتبر اكبر المؤسسات العلمية اليهودية فى فلسطين، وتعود فكرة تأسيسها[3] الى المؤتمر الصهوينى الاول (بال ١٨٩٧)، ثم اشترت الحركة الصهيونية الارض التى اقامت الجامعة عليها فى عام ١٩١٣ وفى تموز/ يوليو ١٩١٨ وضع حاييم وايزمان حجر الاساس وفى نيسان/

---

(١) عارف العارف، المفصل فى تاريخ القدس، الجزء الأول، القدس، ١٩٦١

(٢) Esco foundation For Palestine, Vol. 1, P. 53.

(٣) عطا محمد صالح زهرة، «الثقافة العربية والتحدى الصهيونى فى الارض المحتلة» شؤون عربية العددان ٣٣ـ٣٤ (١٩٨٣)، ص ١٤٣.

ابريل ١٩٢٥ تم افتتاح الجامعة للتدريس[١] ووصف الشاعر الروسى الصهيونى بياليك حفل الافتتاح بأنه « . . يوم عظيم ومقدس لألهنا وشعبنا»[٢].

وكانت الحركة الصهيونية قد رفضت اقتراح حكومة الانتداب باقامة جامعة بريطانية فى مدينة القدس باعتبارها من وجهة النظر الصهيونية تهديدا للثقافة العبرية فى فلسطين ولان الجامعة الوحيدة التى يجب اقامتها لابد وان تكون جامعة عبرية[٣].

اللغة العبرية :

هدفت الحركة الصهيونية الى احياء الثقافة اليهودية وبعث اللغة العبرية التى كان استعمالها مقصورا على الكتب الدينية والصلوات والادعية[٤]، ولذلك رفضت الحركة الصهيونية ان تكون لها علاقة بأي برنامج تعليمى لا تكون اللغة العبرية فيه اللغة الوحيدة[٥]، وقد ساهم عدد من اعلام الفكر الصهيونى فى خدمة اللغة العبرية وآدابها، ففى السنوات الاخيرة من خياة القلعى ركز اهتمامه على احياء اللغة العبرية وتوحيد استعمالها، ومن اقواله «لن يكتب البقاء والاستمرار لاى امة دون وجود لغة مشتركة لديها»، لذلك وضع

---

(١) العارف، المفصل فى تاريخ القدس، ص ٤٤٧، وانظر ايضا، سليم، نشاط الوكالة اليهودية . . ، ص ١٤٠ .
(٢) عبد الوهاب محمد المسيرى، الايديولوجية الصهيونية، القسم الاول، عالم المعرفة (٦٠) ص ٢٨٨ .
(٣) المصدر نفسه، القسم الثانى، عالم المعرفة ص ١٢٦ .
(٤) ربحى كمال، دروس اللغة العبرية، بيروت، ١٩٨٢ ص ٥٣ .
(٥) المسيرى، الايديولوجية الصهيونية . . ، القسم الثانى، ص ١٢٦ .

القلعى كتابا لتدريس اللغة العبرية وقواعدها[1].

أما الجهد الاكبر فقام به اليعازر بن يهوداً الذى عبر عن مفهومه القومى بقوله «هنالك ثلاثة اشياء محفورة على راية القومية : بلاد ولغة وثقافة» وقوله : «ان بعث اللغة سيكون اشارة الى ان بعث الامة لن يتأخر»[2]، وقوله ايضا «ان الأمة هى اللغة وان لا حياة للامة بدون لغة» وفى عام ١٨٨١ هاجر بن يهودا مع زوجه الى القدس واقام فيها وظل نحو اربعين عاما يعمل باستمرار على احياء اللغة العبرية لتصبح لغة الخطاب والمحادثة، واصدر صحفا بالعبرية للكبار والصغار واسس رابطة المتكلمين باللغة العبرية[3]، وعكف على تطوير العبرية وتحديثها لمن يريد تعلمها ودراستها.

إن تأليف قاموس اللغة العبرية القديمة والجديدة يعتبر انجازا صهيونيا مهما، فقد نقب بن يهودا عن كنوز اللغة العبرية فى العهد القديم والتلمود وفى الادب العبرى لا سيما فى العهد الاندلسى، وجمع كل ما انتجته اللغة العبرية في تاريخها من مفردات في معجمه الكبير، وثابر مدة اربعين عاما على اصدار «المعجم العبرى الكبير» وقد اعد منه تسعة مجلدات فى حياته[4]، اخرج منها خمسة مجلدات قبل وفاته فى عام ١٩٢٢ .

وهكذا عملت الحركة الصهيونية على إحياء اللغة العبرية،

---

(١) محمود، مشاريع الاستيطان اليهودى، ص ٦٩ .
(٢) المصدر نفسه، ص١٢٩ .
(٣) كمال، دروس اللغة العبرية، ص ٥٣ ـ ٥٤
(٤) المصدر نفسه، ص ٥٥ .

وأسرف الادب الصهيونى فى وصف العقبات التى صادفها المستوطنون اليهود فى الربع الاخير من القرن التاسع عشر والانجازات التى حققوها والمحاولات التى بذلوها للتكيف مع الحياة الجديدة فى فلسطين[1]، فى عهد الانتداب البريطانى (١٩٢٢ ـ ١٩٤٨) اصبحت اللغة العبرية احدى اللغات الثلاث العربية والانجليزية والعبرية فظهرت على الاوراق الرسمية والطوابع والعملة، وصارت فلسطين تذكر بالعبرية «أرض اسرائيل»[2] وبذلك تحقق الحلم الصهيونى فى احياء اللغة العبرية واستعمالها فى التدريس والكتابة والخطابة والتمثيل وفى الجامعة العبرية فى القدس.

آثار اسلامية (حائط البراق):

يسمى المسلمون الحائط الغربى للحرم الشريف حائط البراق وتوجد فى داخله غرفة صغيرة (تجويف) يعتقد المسلمون بأن الرسول صلى الله عليه وسلم ربط فيها البراق ليلة الاسراء والمعراج، ويبلغ طول حائط المبكى ٤٨ مترا وارتفاعه ١٧ مترا ويشكل جزءا من اساسيات المسجد الاقصى، واقيم عنده مسجد صغير لصلاة النافلة[3].

---

(١) احمد عمر شاهين، «عن الرواية البوليسية الاسرائيلية» شؤون عربية العددان ٣٣ ـ ٣٤، ١٩٨٣، ص ٤٥٣.

(٢) محمد عزة دورزة، العدوان الاسرائيلى القديم والعدوان الصهيونى الحديث على فلسطين وماجاورها، الجزء الثانى بيروت ١٩٨٠، ص ٣٨.

(٣) النحال، فلسطين ارض وتاريخ، ص ٢٠٣.

* ويقوم فى منطقة الحرم الشريف مسجدان هما :

ـ المسجد الاقصى المبارك ، ويلاصق الحائط الخارجى الجنوبى للحرم الشريف ويمتد لغاية حائط البراق .

ـ مسجد عمر ، وهو المعروف بقبة الصخرة ويقع في وسط الحرم الشريف[1] .

أما اليهود فيدعون ان حائط البراق جزء من جدران الهيكل الثالث الذي بناه هيرودوس الكبير فى عام ١٨ ق . م . ودمره القائد الرومانى تيطس فى عام ٧٠م . ولا يوجد اى دليل مادى أو علمى أو تاريخى على صحة هذا الادعاء على الرغم من الحفريات الاثرية التى قام اليهود بها حيث تضاربت الآراء فى تحديد موقع الهيكل[2] ولكنهم حاولوا ربط حقوقهم بالصلاة امامه بادعاء الملكية عليه .

وتعود علاقة اليهود بجدار المبكى الى عهد داود وسليمان ، حيث تذكر التوراة ان داود جاء الى القدس (اورشليم) بعد ان ترك الخليل (حبرون) بعد حكم دام سبع سنوات ، وساوم اورونا اليبوسى على بيدر له لاقامة معبد عليه وشراه واقام عليه مذبحا ، وبدأ فى بناء الهيكل لحفظ تابوت العهد الذى يحتوى على وصايا موسى عليه السلام واقتبس طريقة اليبوسيين فى بناء بيت للرب على مرتفع من الارض ، وكان ذلك في آخر حياته[3] ، ثم اكمل

---

(١) تقرير اللجنة الدولية المقدم الى عصبة الأمم عام ١٩٣٠ بيروت ١٩٦٨ ، ص١٨ .

(٢) رائف نجم «المعالم التاريخية للقدس» شؤون عربية العدد ٤٠ ، ١٩٨٤ ، ص ٢٨

(٣) جريس القدس، ص ٩ ، وانظر ، دروزة، العدوان الاسرائيلى القديم، الجزء الاول بيروت، ١٩٧٩ ص ١٤٠ـ١٤١

سليمان بناء الهيكل فى عام ١٠٠٥ ق.م. وكان طوله ٧٠ ذراعا وعرضه ٢٠ ذراعا.

وعندما سبى نبوخذ نصر اليهود الى العراق فى عام ٥٨٧ ق.م هدم الهيكل فى عام ٥٨٦ ق.م. فلما استولى كورش ملك الفرس على بابل فى عام ٥٣٩ ق.م. بمساعدة اليهود، ومن ثم على بلاد الشام فى عام ٥٣٨ ق.م. اعاد بعض اليهود الى القدس فاعادوا بناء الهيكل[١] في عام ٥١٦ ق.م وامتد الحكم الفارسى للقدس من عام ٥٣٨ ق.م الى عام ٣٣٢ ق.م وكانت نهايته على يد الاسكندر المقدونى.

وعندما تشدد الحكم اليونانى فى معاملة اليهود ثاروا بزعامة العائلة المكابية[٢] فى عام ١٦٧ ق.م وفى عام ٣٧ ق.م عين الرومان هيرودوس الادومى ملكا على اليهود فجدد بناء الهيكل فى عام ١٨ ق.م وظل قائما الى ان هدمه القائد الرومانى تيطس فى عام ٧٠م اثر ثورة قام بها اليهود ضد الحكم الرومانى فى عام ٦٦م، على الرغم من المعاملة المميزة التى منحها لليهود[٣] كاعفائهم من الخدمة العسكرية وعبادة الامبراطور الرومانى.

وعندما جاء هدريان ازال آثار الهيكل فى عام ١٣٥م اثر ثورة سمعان «بوكوكب» الذى ادعى انه المسيح المنتظر فقضى هدريان على الثورة ونكل باليهود وجعل القدس مستعمرة رومانية وحرم

---

(١) عبد الوهاب الكيالى، تاريخ فلسطين الحديث بيروت ١٩٧٠، ص ١٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٦.

(٣) المصدر نفسه ص ١٧ ـ ١٨.

على اليهود العيش فيها أو الاقتراب منها[1]، واصبحت عادة اليهود الذهاب الى جدار المبكى للنواح باعتباره اثرا دينيا مقدسا «بيت الرب»، واستمرت عادة النواح والبكاء على خرابه، ويزعم اليهود ان جذورها تعود الى مابعد خراب الهيكل[2].

وبعد الفتح الاسلامى لمدينة القدس لم يمنع الحكم العربى اليهودى من البكاء عند جدار المبكى، ولكن فى اواخر القرن الثامن عشر اكثر اليهود من الصلاة والوقوف والتضرعات والنواح على خراب الهيكل، ربما لزيادة عددهم فى القدس بخاصة وفى فلسطين بعامة، وفى عهد الادارة المصرية للقدس (١٨٣١ - ١٨٤٠) سمح الحكم المصرى لطوائف اليهود باقامة معابد جديدة، وترميم القديم منها، ماعدا تبليط ماحول حائط البراق ولكن سمح لهم بزيارته والصلاة فيه والبكاء على سقوط الهيكل وخرابه فى مقابل ٣٠٠ جنيه استرلينى سنويا، تدفع لوكيل وقف ابو مدين[3] لان الرصيف القائم امام حائط البراق والذى يبلغ عرضه نحو اربعة امتار[4] ويقف عليه اليهود اثناء الزيارة تعود ملكيته الى اوقاف ابى مدين الغوث المخصصة لمنفعة المغاربة المسلمين منذ عهد صلاح الدين الايوبى[5]، واشترط الحكم

---

(١) نجم «المعالم التاريخية للقدس»، ص ٢٨.
(٢) تقرير اللجنة الدولية، ص ٣٣.
(٣) أسد رستم، وثيقة الدزدار وقضية البراق، ص ١١، وانظر، صبرى، «لواء القدس» ص ٣٣.
(٤) تقرير اللجنة الدولية، ص ١٩.
(٥) نجم «المعالم التاريخية للقدس»، ص ٢٨.

المصرى ان تتم زيارة اليهود وفق العادات القديمة ودون ان يترتب على ذلك اي حق قانوني.

وفي نهاية القرن التاسع عشر زاد عدد المعابد اليهودية فى القدس فبلغت ٦ كنس منها اثنان لليهود الاشكناز وثلاثة لليهود السفاراد واخر لجماعة اليهود القرائين، ولكن على الرغم من كثرة اماكن العبادة اليهودية فان عدد اليهود المجتمعين عند جدار المبكى فى صيف ١٨٩١ لم يتجاوز ١٨٠٠ نسمة[١].

وفى بداية الحكم العسكرى البريطانى (١٩١٧ ـ ١٩٢٢) لم يكتم اليهود اطماعهم فى استملاك حائط البراق والمنطقة المجاورة وتحويله الى معبد لهم فأخذوا يقرأون المزامير وأسفار موسى ويطيلون الصلاة والوقوف عند الحائط[٢]، ولما كان الحكم العسكرى يخشى من ردة فعل عربية حاول كبح حماس اليهود[٣] لا سيما وأن المشرفين العرب على الاماكن المقدسة كانوا شديدى اليقظة لاساليب الحركة الصهيونية لتغيير الوضع الراهن لحائط البراق مستغلة المشاع الدينية اليهودية والعودة من ارض الشتات لخدمة اهدافها السياسية[٤].

وفى عهد الانتداب البريطانى (١٩٢٢ ـ ١٩٤٨) حاولت الحركة الصهيونية اتباع وسائل جديدة عند زيارة المبكى، مثل

---

(١) تقرير اللجنة الدولية، ص ٥١.
(٢) المصدر نفسه، ص ٣٥.
(٣) دروزة، العدوان الاسرائيلى القديم، الجزء الثانى، ص ٣٣.
(٤) خيرية قاسمية، قضية القدس، بيروت، ١٩٧٩، ص ١٣.

جلب الكراسى والمصابيح والستائر من قبل المصلين اليهود ووضعها امام الحائط على غير عادتهم السابقة، ولكن العرب تنبهوا الى ذلك واحتجوا على الاساليب الصهيونية، ومايمكن ان يترتب عليها من ادعاء بملكية الارض التى يضعون الادوات[١] عليها. ولم يمض وقت طويل على تجاوزات الحركة الصهيونية حتى كانت هبة البراق فى آب/ اغسطس ١٩٢٩ والتى تمثل اهتمام الوكالة اليهودية بتسليح اليهود[٢] ومطالبة المجلس الملى ليهود فلسطين سلطات الانتداب البريطانى بقصر تعيين رجال الامن فى المستوطنات على اليهود فقط والترخيص لافرادها بحمل السلاح[٣].

وشكلت حكومة الانتداب لجنة تحقيق برئاسة والترشو فى عام ١٩٢٩ التى توصلت الى الاستنتاج بان حائط البراق اثر اسلامى مقدس وان الرصيف المقابل والمنطقة الملاصقة له وقف اسلامى وان كل ما لليهود فيه هو حق الزيارة المقيدة والمشروطة من حيث الاوقات والكيفية التى تتم بها وفق العرف والتقليد، وحق الزيارة لا ينطوى على أى نوع من الملكية لليهود[٤].

وقررت لجنة التحقيق (شو) مايلى :

* ملكية الحائط الغربى للحرم الشريف عائدة للمسلمين فقط.

---

(١) تقرير اللجنة الدولية، ص ٦.
(٢) سليم، نشاط الوكالة اليهودية، ص ٤٩٨.
(٣) المصدر نفسه، ص ٤٩٨.
(٤) تقرير اللجنة الدولية، ص ٨.

* ملكية الرصيف عائدة للوقف الاسلامى .

* لليهود حرية الوصول الى الحائط الغربى لاقامة التضرعات فى جميع الاوقات بشروط منها عدم جواز احضار ادوات للعبادة الى جوار الحائط باستثناء بعض المناسبات حيث يسمح لهم باحضار مائدة وخزانة[1] .

هذا وقد اعترفت لجنة شو أن موقف العرب ناجم عن السخط والخوف من ان غاية اليهود الحقيقية وضع يدهم على الحرم الشريف والاستيلاء على مسجد قبة الصخرة وطرد العرب من فلسطين لاعادة بناء الهيكل من جديد[2]، مما سيؤدى الى ثورات عربية أخرى ضد اليهود ما لم يقتنع العرب بان المخاوف التى تساورهم مبالغ فيها أو يبرهن لهم بأنها لا تستند الى أساس[3] .

ومهما يكن من أمر فقد كانت القدس الشرارة التى انطلقت منها ثورة البراق وثورات عرب فلسطين الأخرى، وكانت الاماكن المقدسة فيها السبب المباشر للنزاع المسلح بين العرب واليهود، لان الحركة الصهيونية تجاهلت منذ البداية «الوضع الراهن» لحائط البراق ولان اعترافها بالوضع الراهن يعنى احباط مخططها فى الكشف عن الهيكل الذى تزعم وجوده اسفل الصخرة المشرفة .[4] .

---

(١) تقرير اللجنة الدولية، ص ١٠٦ .
(٢) المصدر نفسه، ص ٤٧ـ٤٨ .
(٣) سليم، نشاط الوكالة اليهودية، ص ١٤١ .
(٤) جريس، القدس، ص ٢٦، ١٩٠ .

الحقوق الدينية والتاريخية المزعومة :

احتاجت الحركة الصهيونية الى ذريعة دينية ـ تاريخية لاقامة الدولة اليهودية فى فلسطين، ولذلك دأبت الصهيونية على تزييف الحقائق التاريخية فروجت الادعاء القائل بان فلسطين وطن اليهود التاريخى، وان يهود اليوم هم احفاد داود وسليمان وان الشعب اليهودى لم يفارق ارضه بل اخذها معه فى منفاه[1]، وان اليهود ظلوا على الدوام يذكرون العذاب والمعاناة التى تعرضوا لها فى الماضى، ومما لا شك فيه ان الادباء والشعراء اليهود الذين استمدوا موضوعاتهم من التاريخ القديم بالغوا كثيرا فى كتاباتهم الادبية ونسجوا الاساطير حول شخصياتهم التاريخية[2]، وقد استفادت الحركة الصهيونية من البكائيات فى تقوية فكرة الانتماء والعودة الى ارض الميعاد.

واهتمت الحركة الصهيونية ايضا بالتاريخ اليهودى القديم كأساس لبناء الشخصية الصهيونية فوضعت سلسلة من الكتب بثت فى سطورها الفكرة الصهيونية المستمدة من التوراة باعتبارها المصدر الاساسى للتاريخ اليهودى، وركزت فيها على

---

(١) فالتر هولشتاين، «نماذج تفسيرية لاسباب الصراع فى الشرق الاوسط» «اللاتاريخية منها والتاريخية والاجتماعية» شؤون عربية العددان ٣٣ ـ ٣٤ (١٩٨٣) ص ٣٥.

(٢) محمد حبيب القاضى، «الشعر العبرى الحديث ـ قراءة فى شعر يهودا اميجاى ـ شؤون عربية العددان ٣٣ ـ ٣٤ (١٩٨٣) ص ٤٢٤.

الموضوعات التى تكرس التفوق اليهودى والسمو العرقى[1]، فمثلا تزعم الصهيونية ان الحدود التاريخية لارض اسرائيل هى الحدود المقدسة كما نص عليها العهد القديم ـ من نهر مصر الى نهر الفرات وان الحقوق التاريخية هى ايضا الحقوق المقدسة كما وردت فى العهد القديم ـ اليهود شعب الله المختار ـ الذى يستمد حقوقه من العهد الالهى الذى قطعه الله على نفسه لابراهيم[2] كما يزعمون.

هذا وتعتبر فكرة الحق التاريخى أو الرابطة التاريخية من اهم الذرائع التى تقوم عليها الحركة الصهيونية وحقها المزعوم فى انشاء الدولة اليهودية فى «ارض اسرائيل التاريخية»[3]، ولكن المزاعم الصهيونية بحق اليهود الدينى والتاريخى فى فلسطين تبدو هزيلة أمام الحقائق التاريخية التالية:

ان الزعم الدينى الذي يقوم فى الاساس على مايسمى بالدعوة التوراتية (الوعد الالهى) التى اعطاها الرب الى ابراهيم منذ اربعة آلاف عام «الى نسلك اعطى هذه الارض» غير منطقى وغير عادل لان معظم اليهود ليسوا من نسل ابراهيم، كما ان كلمة «لنسلك» لا تستثنى العرب الذين يعودون بنسبهم الى اسماعيل بن ابراهيم[4]،

---

(١) هارون هاشم رشيد «حول الفكر التربوى الصهيونى فى فلسطين المحتلة ـ تغيير حقائق التاريخ الثابتة» شؤون عربية العددان ٣٣ ـ ٣٤ (١٩٨٣ ص ٤٢.

(٢) المسيرى الايديولوجية الصهيونية القسم الاول ص ٢٤٢.

(٣) جورجى كنعان، سقوط الامبراطورية الاسرائيلية، لبنان، ١٩٨٠ ص ٧٣.

(٤) أحمد طبرين، فلسطين فى خطط الصهيونية والاستعمار ١٨٩٧ ـ ١٩٢٢ القاهرة، ١٩٧٠.

فمثل هذا الزعم الديني لا يكفي لان الدين ليس من المقومات الاساسية للفكرة القومية التي تعتمد على الارض واللغة الواحدة والتاريخ المشترك، واذا فرضنا جدلا توافر مثل هذه الشروط فى يهود العالم فان ذلك لا يمنحهم الحق في اغتصاب اراضى الآخرين والحياة على حساب آلامهم وحقوقهم المهضومة[1].

ومما يجدر ذكره ان ظاهرة عدم التدين فى الحركة الصهيونية تعبر عن واقعها القائم على الغزو والعدوان وتؤكد استغلال الحركة الصهيونية للدين الذى تتخذ منه ستارا تخفى وراءه اطماعها وخططها التوسعية وتخدع به عامة اليهود[2].

ففى بداية الانتداب البريطانى قامت مجموعة من الرواد الصهاينة بمسيرة في يوم الغفران الى جدار المبكى تحدث فيه الشرائع اليهودية الخاصة بالطعام بتناولها شطائر من لحم الخنزير[3]، وعلى الرغم من ذلك فقد نجحت الحركة الصهيونية فى الاوساط اليهودية فى تأكيد مقولة الملكية التاريخية لفلسطين اعتمادا على اساطير تعاملت معها كمسلمات غير قابلة للمناقشة[4].

ان الادعاء بالحق التاريخي المزعوم يأخذ فى القدس طابعا خاصا لما لها من مكانة فريدة، فهى من وجهة النظر اليهودية ترمز

---

(١) سليم، نشاط الوكالة اليهودية، ص ٦٢٨.
(٢) محمود السمرة، فلسطين الفكر والكلمة، بيروت ١٩٧٤، ص ١١٧.
(٣) المسيرى، الايديولوجية الصهيونية، القسم الاول ص ٢١٦.
(٤) شاهين «عن الرواية البوليسية» ص ٤٥٣.

الى وحدة اليهود واستقلالهم وتذكرهم بماضيهم السياسى[1]، ومهما يكن من امر المزاعم الصهيونية فان اليهود لم يكونوا اول من قدس المدينة، فقد سبقهم الى ذلك الكنعانيون واليبوسيون حوالى الالف الثالث قبل الميلاد وقبل ان تتبلور قدسيتها لدى اليهود نتيجة المعاناة من الاضطهاد فى الشتات[2].

ان الزعم بأن ليهود العالم حقا تاريخيا فى فلسطين غير صحيح فيهود العالم لا يشكلون امة منفردة وانما هم افراد فى الأمم التى يعيشون فيها ويتكلمون لغاتها، كما ان التاريخ وعلم الاجناس والقانون لا يقر هذا الادعاء فى تبرير العودة الى فلسطين، فالقول بان اليهود اليوم هم خلف العبريين زعم لم يستطع حتى علماء اليهود البرهنة عليه، والقول بان اليهود وليس العرب هم سكان فلسطين ادعاء لا دليل على صحته، ومن الحقائق المسلم بصحتها ان اليهود لم يكونوا اول من سكن فلسطين فقد سبقهم العرب الكنعانيون اليها قبل خمسة آلاف عام، ولم ينقطع وجودهم فيها، ولعله اقدم امتلاك معروف واشد قوة من الادعاءات الصهيونية[3].

وهكذا فالاسرائيليون ليسوا أول من سكن فلسطين بل كانوا غزاة جاءوا ارض كنعان فى القرن الثانى عشر قبل الميلاد بعد خروجهم من مصر، ولم يحدث قط ان اذعنت فلسطين للغزاة

---

(١) قاسمية، قضية القدس، ص ١٣.
(٢) جريس، القدس، ص ٩.
(٣) كنعان، سقوط الامبراطورية الاسرائيلية، ص ٢١٥.

اليهود اذعانا كاملا. كما ان اربعة عشر قرنا من الحكم العربى كافية لتوطيد عروبتها، ولذلك فان ادعاء اليهود بالحق التاريخى وشرعية العودة اليها لا يقوم على اساس صحيح، فالعلاقة اليهودية بها من الناحية التاريخية قصيرة متقطعة غير مستقرة، بدأت واندثرت منذ وقت طويل وقامت على الغزو والاحتلال، فاليهود لم يحكموا القدس حكما مستقلا سوى ٧٣ عاما فى عهد داود وسليمان، وحتى هذه الفترة لم تخل من الخضوع للفنيقيين حينا وللمصريين حينا آخر كما ان الحكم المكابى لم يكن سوى فترة حكم ذاتى تحت السيادة اليونانية على القدس[١].

أما القول بان اليهود قد شردوا ظلما ففيه مبالغة لان كثيرا من اليهود هاجروا من فلسطين لاسباب اقتصادية حتى قبل احتلال الرومان لها[٢]، كما ان التوراة توضح تخلى الله عن اليهود بعد نقضهم الوعود وتنكرهم للانبياء فسلط عليهم القائد الرومانى تيطس[٣] الذى اخرجهم من القدس وخرب الهيكل فى عام ٧٠م.

ان الادعاء بالتعهدات الدولية الخاصة بانشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين بدعوى اضطهاد اليهود فى شرق ووسط اوربا وتهجيره الى فلسطين لا يقوم على منطق سليم فبأى حق تقتلع الحركة الصهيونية شعبا من ارضه لاحلال اجزاء من شعوب اخرى

---

(١) طربين، فلسطين فى خطط، ص ١٥.
(٢) جريس، القدس، ص ٧.
(٣) هولشتاين «نماذج تفسيرية لاسباب» ص ٢٦

مكانه[1] ، الآن الاسطورة الصهيونية الخاصة بالحقوق الدينية والتاريخية الابدية فى فلسطين ترفض الاعتراف بوجود شعب آخر؟ وفى مقابل هذه المزاعم الصهيونية فان للعرب الذين يسكنون فلسطين ويفلحونها ويملكونها منذ عهد بعيد حقوقا اشد واقوى.

وفى ختام هذه الدراسة يتبين لنا أن القدس كانت هدفا اساسيا فى المخطط الصهيونى لاحتلال فلسطين الذى نجح فى عهد الانتداب البريطانى (١٩٢٢ ـ ١٩٤٨) فى قلب الحقائق السكانية باغراق البلاد بالهجرة وبزيادة مساحة الاراضى الزراعية المملوكة للوكالة اليهودية وبالسيطرة على المرافق الاقتصادية. وبعد الحرب العربية ـ الاسرائيلية الاولى ١٩٤٨ جنت الحركة الصهيونية ثمار مخططها فى القدس بعد ان كرست اتفاقية الهدنة بين الاردن واسرائيل فى ٢٤ نيسان/ ابريل ١٩٤٩ تقسيما واقعيا للمدينة[2]، فأشرفت الاردن على ادارة القسم القديم من القدس الذى يشتمل على الاماكن المقدسة بالاضافة الى جزء من المدينة خارج السور.

وفى ١١ كانون الاول/ ديسمبر ١٩٤٩ اعلنت اسرائيل القدس عاصمة لها بقرار من الكنيست، ونقلت مقر الحكومة من تل ابيب اليها، كما نقلت الكنيست اليها فى عام ١٩٥٢ كجزء من مخطط

---

(١) احمد عباس: القدس الدامية، ص ٣٧.
(٢) سليم، نشاط الوكالة اليهودية، ص ٦٢٨.

شامل لنقل جميع المصالح الحكومية لها وتكريسها عاصمة لاسرائيل وفرض الامر الواقع .

وبعد الحرب العربية الاسرائيلية الثالثة (١٩٦٧) باشرت السلطات الاسرائيلية تنفيذ مراحل التهويد النهائية في القدس، تمثلت بالتوسع فى عمليات الاستيطان بهدف جعل القدس يهودية وتحويل القدس العربية الى جزيرة صغيرة وسط بحر يهودى لفصلها عن المحيط العربى، وبذلك تكرس اسرائيل سيادتها عليها[١] خلافا لاتفاقيات جنيف وحقوق الانسان وقرارات الأمم المتحدة .

أن مأساة القدس جزء أساسى من مأساة فلسطين يصعب الوصول الى تسوية بشأنها دون تسوية المسألة الفلسطينية برمتها .

(١) المسرى، الايديولوجية الصهيونية، القسم الاول، ص ١٨٨ .

الفصل السادس

اجراءات تهويد القدس
على مستويات العمران والتعليم والقضاء

ويتضمن :

- تمهيد .
- ماقامت به سلطات الاحتلال لتغيير المعالم العمرانية في القدس.
- ماقامت به السلطات المحتلة في المجال التعليمي.
- آثار الاحتلال الصهيوني من الناحية القانونية والقضائية في القدس الشريف.
- تصعيد الهجمة الشرسة على مدينة القدس.
- القدس عام ٢٠٠٠.
- المواصلات في قلب القدس.

اعداد

رفيق الخطيب التميمي

مدير الحرم القدسى الشريف



تمهيد

مما لاشك فيه أن قضية القدس تعتبر قضية العرب والمسلمين الاولى في اجيالنا المعاصرة وذلك نظرا لاهميتها ومنزلتها في النفوس وارتباطهم بها عَقَديًا . هذا من جهة ومن جهة اخرى ما تتعرض له هذه المدينة المقدسة وسكانها الابرياء من هجمة شرسة تستهدف تغيير معالمها وهويتها وطمس معالمها الطبوغرافية الجميلة للوصول الى تهويدها .

والادلة كثيرة تلكم التي تشير الى أن سلطات الاحتلال الصهيوني تسعى بكل ما اوتيت من قوة للوصول الى اهدافها هذه .

وقد سارت هذه السلطات في عدة محاور واعتمدت أساليب التضليل والخداع[1] في اعمالها كما أن هذه السلطات قد قامت باجراءات واعمال استفزازية وتعسفية نفذتها في ظل تغاض دولي واضح وغياب الردع العربي والاسلامي نتيجة الاختلافات المتلاحقة بين اقطاره واقاليمه . فقد درجت الهيئات الدولية على

---

(١) اضرب لهذا مثلا واحدا - والامثلة كثيرة - : قامت احدى العصابات اليهودية المتطرفة وهي التي تطلق على نفسها عطيريت كنهيم بالاستيلاء على عقار عربي في حي سكوبس في المدينة المقدسة واعترض اصحاب العقار على هذا العمل الهمجي لدى السلطات الرسمية (البلدية - الشرطة - القضاء) فاعلن رئيس البلدية استنكاره لهذا العمل كما ابدت بقية الاطراف عدم ارتياحها . ولكنهم في ظل استنكارهم هذا قامت اجهزة البلدية الفنية بترميم العقار واعلنت العصابة انها ستخصصه مدرسة لاهوتية ، وبعد ان هدأت موجة الاستنكار قام رئيس وزراء اسرائيل وقتها (شامير) بفتح هذه المدرسة رسميا ، ولم يكتف بذلك بل اعلن في كلمة الافتتاح ان هذه المدرسة ستكون في وقت قريب وسط حي يهودي مع العلم بأن سكان الحي هم من العرب المسلمين والمسيحيين .

الاكتفاء باصدار بيانات وقرارات الشجب والاستنكار لما تقوم به هذه السلطات في المدينة المقدسة. ولاتتعدى هذه الهيئات هذا الشجب والاستنكار الى اجراءات عملية رادعة لهذه السلطات عن المضي في اعمالها واجراءاتها.

في هذا الجو الملبد بالظلم والظلام قامت سلطات الاحتلال باتخاذ عدة اجراءات في المدينة المقدسة لتهويد المدينة وتغيير معالمها العمرانية والتعليمية والسكانية والقانونية والاقتصادية والثقافية وما الى ذلك من مجالات ضاربة عرض الحائط القرارات الدولية.

وحتى تتضح لنا الصورة ـ ولكي نقف على هذه الحقيقة المرة ليستطيع اصحاب القرار في الامة من وضع الامور في نصابها من اجل ارجاع الحقوق لأصحابها ولتبقى هذه المدينة المقدسة رمز الامة وعزتها لابد لنا أن نضع هذه الحقائق:

اولا: ماقامت به سلطات الاحتلال لتغيير المعالم العمرانية في القدس

١ - هدم الاحياء والعقارات العربية والاسلامية في المدينة المقدسة بما تشتمل عليه من مساجد واسواق ومكتبات ومعالم حضارية اخرى كانت تضفي على القدس الشريف بهاء وجمالا وتعطيها عمقا في اصالتها وتاريخها العربي والاسلامي. فقد اقدم اليهود على هدم حي المغاربة التاريخي وذلك بعد احتلالهم لمدينة القدس باربعة ايام فقط. ذلك الحي الاسلامي الذي يعود تاريخ بنائه الى سنة ٧٠٠هـ الموافق ١٣٠٠م.

«في الفترة الممتدة بين صيفي ١٩٦٧م و١٩٦٩م ازيل كل مايعيق رؤية الجانب الغربي من الحرم الشريف (حائط البراق) الذي يطلق عليه اليهود حائط المبكى. على مسافة ١٤٠م وفتحت ساحة شاسعة امام الحائط وذلك بعد تدمير وازالة احد الاحياء الذي يعود بناؤه الى العصور الوسطى والذي يشكل جزءا من التركيب المدني التقليدي للمدينة القديمة، والى جانب ذلك كان هذا الحي يحوي بعض البنايات ذات القيمة المعمارية الهامة او التي لها طابع ثقافي اصيل»[١].

---

(١) انظر: القدس الشريف هنري كتن ص ١٣٢، دفاعا عن القدس فارس الشرعان، ارشيف مديرية المسجد الاقصى وزارة الاوقاف والشؤون والمقدسات الاسلامية حيث تشير مجموعة التقارير حول هذا الموضوع اثر هذا الاعتداء الغاشم على المدينة المقدسة.

إن الاعمال التي جرت في هذه المنطقة من المدينة القديمة انتزعت جمالها وصارت اشبه بجرح مفتوح في جسم المدينة الحي. كما أدى ذلك إلى تشريد سكان هذا الحي الابرياء وهذا دليل واضح على أن سلطات الاحتلال لاتقيم وزنا لقيمة من القيم الانسانية، وهذه صفة لصيقة باليهود عبر تاريخهم وعلى مر اجيالهم.

لم تكتف السلطات اليهودية المحتلة بهدم هذا الحي وطرد أهله منه والحاق التشويه بجمال القدس إنما اقدمت بعد ذلك على بناء حي يهودي في اطراف حي المغاربة المزال من الوجود مما زاد في عملية التشويه الذى الحقته بمدينة القدس.

٢ - اجراء الحفريات الواسعة في المنطقة الملاصقة للحرم الشريف ابتداء من الجهة الجنوبية وامتدادا إلى باب المغاربة ثم اعقبتها بعد ذلك بالحفريات المجوفة تحت اساسات العقارات والاسواق الاسلامية المحيطة بالحرم الشريف من الجهة الغربية. حيث وصلت هذه الحفريات إلى باب الغوانمة.

وقد أدت هذه الحفريات إلى إحداث تشويهات عديدة سواء كان عند سور الحرم الجنوبي أو في الجهة الشمالية.

ولابد من التأكيد على ما يلي:

أ/ لم تعثر سلطات الاحتلال على أي أثر من الآثار التي اكتشفت جراء هذه الحفريات إنما كانت المكتشفات قصورا اسلامية تعود إلى العهود الاسلامية المتعاقبة - أموية وعباسية

ومملوكية وعثمانية.

ب/ قامت سلطات الاحتلال بتزييف بعض المكتشفات من جهة وبوضع علامات سياحية واجراء تغييرات هيكلية في المواقع الاثرية المكتشفة لاضافة عناصر صهيونية لتشجيع السياحة وممارسة هواية قلب الحقائق وإلباسها بالباطل من جهة أخرى.

جـ/ أدت الحفريات التي اجريت في الجهة الغربية إلى تصدع عدد من العقارات الاسلامية التاريخية الممتدة على طول هذه المنطقة، ومن أبرز هذه التصدعات ما كان في المدرسة التنكزية وعمارة المجلس الاسلامي وسقوط جزء كبير من شارع باب السلسلة وأرضية المسجد العثماني والعقارات المطلة على سوق القطانين.

كما ادعت سلطات الاحتلال باكتشاف نفق طويل في هذه المنطقة يمتد من باب المغاربة جنوبا إلى باب الغوانمة شمالا.

د/ شجبت الهيئات الدولية (الجمعية العمومية ومجلس الامن ومنظمة اليونسكو) الحفريات الاسرائيلية في عدة قرارات وطلبت من سلطات الاحتلال التوقف عن هذه الاعمال التعسفية، إلا أن هذه السلطات على عادتها لم تأبه بهذه الاستنكارات وضربت بها عرض الحائط ومازالت تقوم بين الحين والآخر بمثل هذه الأعمال.

٣ - الهجمة الشرسة التي تعرضت وتتعرض لها مدينة القدس من قبل العصابات المتطرفة. ببث الذعر والرعب في قلوب

المواطنين ودخول بيوتهم بسبب وبدون سبب واحتلال بعض اجزاء من عقاراتهم وكل هذه الجرائم ارتكبت تحت سمع وبصر السلطات الرسمية وبدعم وتأييد من قوات الأمن وحرس الحدود.

نتج عن هذه الهجمة الشرسة مايلي :

أ/ تأسيس ست مدارس يهودية في البلدة القديمة في عقارات اسلامية وعربية.

ب/ تسرب الكثير من العقارات إلى الايدي الصهيونية بالقوة أو احتلالها بحجج أمنية. ودخل أهل القدس في صراع مرير مع سلطات الاحتلال ولكنه صراع غير متكافيء من الناحية العسكرية والمالية والسياسية.

جـ/ استيراد الاعداد الهائلة من يهود الاتحاد السوفيتي سابقا وبولندا وافريقيا وغيرها من الاقاليم الشرقية. واعتبرت موجة الهجرة اليهودية هذه بالنسبة للقضية الفلسطينية موازية لنكبة ١٩٤٨م ونكسة ١٩٦٧م لما لها من ابعاد خطيرة على فلسطين والمنطقة باسرها.

٤ - اقرار مشروع تنظيم جديد للمدينة وضواحيها يستهدف ازالة اجزاء كبيرة من الاحياء العربية القائمة تدريجيا واجلاء اهلها عنها، ثم طمس معالمها العمرانية والتاريخية والحضارية.

كما يهدف هذا المشروع كذلك إلى حرمان من تبقى من اهلنا في القدس من البناء فوق ماتبقى من اراضيهم وفرض شروط تعجيزية على من يريد البناء في الوسط العربي.

٥ - ومن مظاهر التغيير العمراني لمدينة القدس الشريف الذي مارسته سلطات الاحتلال: استبدال اسماء الشوارع والساحات العامة العربية بالقدس باسماء اسرائيلية، وطمس التاريخ العربي والاسلامي الذي تحمله بين ثناياها وعلى سبيل المثال:

أ/ استبدلت سلطات الاحتلال اسم الساحة المقابلة لباب الخليل باسم ميدان عودة صهيون.

ب/ استبدلت اسم شارع مأمن . . . باسم شارع عودة صهيون.

جـ/ سمت المنطقة الممتدة بين حائط البراق إلى داخل البلدة القديمة باسم الشاعر اليهودي «يهودا اهاليفي».

د/ استبدلت اسم طريق سلمى . . . وتل الشرفة الذي يضم القسم الشرقي من هضبة الشيخ جراح باسم جبعات همنتار.

هـ/ استبدلت اسم حارة المغاربة باسم رحوب بيتي محسي.

وغير ذلك من الاسماء المطلقة على الشوارع والطرقات والمناطق.

٦ - ارتفاع نسبة التملك الاسرائيلي للأراضي والعقارات. وذلك اثر الضغوط المتلاحقة على المواطنين وما يتعرضون له من ايذاء وضرر وزج الاطفال والشباب في غياهب السجون لحمل اهلهم على التخلي عن السكن في مدينة القدس وتفريغ المدينة من اهلها الاصليين وكان من نتيجة ذلك أن اصبحت نسب التملك الاسرائيلي ٨٤٪ للاسرائيليين و١٤٪ للعرب و٢٪ للاجانب مع العلم أن النسبة كانت عام ١٩٤٨م ومابعدها بما فيها القدس الغربية

٤٪ التملك الاسرائيلي و٩٤٪ التملك العربي و٢٪ التملك الاجنبي.

٧ - اقامة المستوطنات وتطويق مدينة القدس بأكثر من ٢٤ مستوطنة من جهاتها المختلفة ونتيجة لذلك تغيرت القدس الشريف الى حد يصعب معه تمييزها، فضاع سحرها وجمالها.

قال رئيس اساقفة كانتربري: «انه لمن المحزن حقا أن برنامج البناء للسلطات الحالية اخذ بتشويه المدينة والمناطق المحيطة بها بطريقة تجرح مشاعر اولئك الذين يحرصون على جمالها التاريخي وتشير إلى محاولة لامبالية لاعلانها مدينة اسرائيلية»[١].

«وفي رسالة لصحيفة التايمز الصادرة في ١٤ آذار ١٩٧١م اشار كل من (آرنولد توينبي) و(جيفري فيرلونغ) إلى ما يقيمه الاسرائيليون من مشاريع سكنية غير مدروسة على الأراضي العربية المصادرة لاسباب سياسية وأن ذلك سيسبب ضررا فادحا لايمكن اصلاحه لطابع وجمال المدينة المقدسة»[٢].

هذا الاستنكار صدر في سنة ١٩٧١م في الوقت الذي كانت فيه سلطات الاحتلال تبني بعض المساكن والعمارات الصهيونية هنا وهناك فماذا سيقولان (توينبي وجيفري فيلونغ) لو قدر لهما الاطلاع على المدينة المقدسة في ايامنا هذه وقد دخل التشويه إلى صميم بنيتها الداخلي بالاضافة إلى احاطتها باكثر من ٢٤ مستعمرة (مستوطنة) يهودية؟

---

(١) انظر: القدس الشريف/ هنري كتن ص ١٣٣.
(٢) المرجع السابق/ ص ١٣٤.

حقا إنهما سيلومان المجتمع الدولي بكل هيئاته ومنتدياته الذي مازال ساكتا يغض الطرف عن اعمال مدمرة للقيم الانسانية وأركان الحضارة البشرية .

وسيندهشان من موقف العرب والمسلمين الذي لم يتعد حدود الشجب والاستنكار لهذه الاعمال التعسفية ولهذه الاعتداءات الاجرامية المتكررة .

ثانيا: ماقامت به السلطات المحتلة في المجال التعليمي

لأهمية القدس الشريف ومنزلتها في قلوب المسلمين وعقيدتهم، فقد حظيت باهتمامهم حكاما ومحكومين عبر العهود الاسلامية المتلاحقة في كل مجالات الحياة العامة والخاصة.

ومما يدل على ميزة هذا الاهتمام كثرة دور العلم والمعرفة فيها. وخاصة في المنطقة المحيطة بالحرم القدسي الشريف ومن اهمها: المدرسة الاشرفية والمدرسة التنكزية والمدرسة الصلاحية ومدرسة دار الايتام الاسلامية التي أسست مع مطلع هذا القرن والمدرسة العمرية والمدرسة الرشيدية والابراهيمية وغير ذلك كثير. حيث بلغ عدد المدارس الاسلامية في القدس اكثر من ٦٠ مدرسة.

وقد حرصت هذه المدارس بمفردها ومجموعها على نشر الثقافة والعلم في القدس وما حولها. فكثر الطلاب والعلماء في مختلف انواع المعارف والعلوم الدينية والدنيوية.

وكان اهتمام الاردن في هذه الناحية ملموسا حيث كثرت عدد المدارس الحكومية والخاصة الالزامية والثانوية، ورياض الاطفال بالاضافة إلى دور المعلمين والمدارس الصناعية والمهنية المختلفة وعقد الدورات التدريبية للمعلمين لرفع كفاءاتهم واكسابهم المهارات والأساليب المختلفة المتطورة. ودعمها

المتواصل - وحتى بعد الاحتلال لدار الايتام الاسلامية الصناعية - لعدد من المدارس الثانوية الاخرى في القدس بالاضافة إلى كلية الدعوة واصول الدين وكلية العلوم الاسلامية التابعتين لوزارة الاوقاف والشؤون والمقدسات الاسلامية.

وفي سنة ١٩٦٧م عندما اصبحت القدس في يد سلطات الاحتلال عمدت إلى وضع يدها على المدارس المقدسية الحكومية بحجة أنها الوريثة لحكومة المملكة الاردنية الهاشمية، ودخل المسؤولون عن هذه المدارس في صراع مع السلطة مستنكرين هذا التوجه وطلبوا ابقاء المناهج التعليمية الاردنية المقررة على ماهي عليه ولكن سلطات الاحتلال رفضت ذلك فقامت بالغاء بعض المناهج وفرضت عليها مواد تعليمية اخرى[1].

وامام هذا الواقع رفض معظم المعلمين العاملين في هذه المدارس الاستمرار في العمل وقام مدير التربية والتعليم في القدس حينذاك الاستاذ حسني الاشهب بمعاونة هؤلاء المسؤولين عن الاوقاف الاسلامية بفتح مدارس مقدسية اخرى تحت مظلة الاوقاف الاسلامية ويدرس فيها المنهاج الاردني.

من ابرز العوامل السلبية التي أدت إلى تدهور العملية التعليمية في المدارس التابعة لوزارة المعارف الصهيونية والتي أدت بالتالي إلى تسرب أعداد كبيرة من الطلاب العرب مايلي:

(١) منها ديمقراطية اسرائيل - حق اليهود في فلسطين - جغرافية فلسطين اليهودية وغيرها.

١ - شطب عدد من الموضوعات المقررة في المناهج الاردني
في مختلف المواضيع .

٢ - اعتماد مواد اخرى منها : نظام الحكم الديمقراطي
الاسرائيلي - التعايش السلمي بين أبناء شعب اسرائيل ، وتحريف
مواد التاريخ والجغرافيا التي تثبت احقية يهود في الأرض
المباركة .

٣ - عدم الاهتمام باوضاع المعلمين التربوية وذلك بعدم عقد
دورات مسلكية لهم في اساليب التدريس واهمال العنصر التقني
الحديث في هذه المدارس مما أدى إلى عدم اكتساب المعلمين
للمهارات التربوية والمسلكية الاساسية في العملية التدريسية .

ويقابلها في الجانب الآخر الاهتمام الكبير من وزارة المعارف
الاسرائيلية للمدارس التعليمية في الوسط اليهودي بعقد الدورات
التدريبية والأخذ بأساليب التطوير التربوي التقني الحديث لرفع
كفاءة المدرسين بشكل بارز .

وكل هذا انعكست آثاره السلبية في الوسط العربي ، ومن أهم
أهداف السلطات المحتلة لهذه الأعمال - بفرض عوامل التخلف
العلمي في الوسط العربي في القدس - مايلي :

- ضعف القيادة التربوية العربية في المجتمع ولتكون بالتالي
تابعة للقيادة التربوية الاسرائيلية .

- انتشار ظاهرة التسرب والرسوب بين الطلاب لتكثير الايدي
العاملة من جهة ورفع نسبة الجهل والبطالة بين المواطنين في
القدس .

- عدم ظهور علماء في مختلف أنواع المعرفة والعلوم وينتج عن ذلك حتميا عدم أرتقاء عربي لتولي قيادة الدوائر والمصالح العامة ولاظهار عجز المجتمع العربي عن التصدي لمشكلات مجتمعهم .

- تهويد مختلف الفعاليات السياسية والاقتصادية والادارية بحجة أعمال مبدأ تكافؤ الفرص .

من جانب آخر وضمن الامكانات المتاحة قامت اجهزة الاوقاف الاسلامية في القدس وهي جزء من وزارة الاوقاف والشؤون والمقدسات الاسلامية الاردنية بفتح كلية الدعوة واصول الدين في مدينة القدس واعتبرتها نواة لجامعة القدس وكان ذلك في سنة ١٩٧٨م بالاضافة إلى كلية العلوم الاسلامية (كلية جامعية متوسطة) ومدرستي الاقصى الشرعية للبنين وأخرى للبنات وعمدت إلى تطوير وتوسيع مدرسة دار الايتام الاسلامية الصناعية في القدس وانشاء فرع العيزرية المهني والذي يضم قسما اكاديميا بالاضافة إلى الاقسام الصناعية المختلفة (قسم الطباعة والتجليد - قسم التنجيد والديكور - وقسم النجارة والدهان - وقسم صناعة الخيزران - وقسم الخياطة - وقسم صناعة الاحذية) .

ولتطوير عمل هذه الاقسام اعدت وزارة الاوقاف والشؤون والمقدسات الاسلامية عددا من المشاريع بهدف شراء الآليات والاجهزة الاليكترونية والتقنية المختلفة لهذه الصناعات والحرف المهنية لاكساب الايتام الدارسين فيها مهارات واسعة في هذه التخصصات النادرة، ليشق اليتيم دربه في الحياة معتمدا على نفسه وليكون عامل خير وعطاء في المجتمع الاسلامي .

آثار الاحتلال الصهيوني من الناحية القانونية والقضائية في القدس الشريف

كما أشرت سابقا في هذه الدراسة إلى أن سلطات الاحتلال الاسرائيلي هدفت ومنذ الساعات الأولى لدخولها إلى مدينة القدس لتهويدها وتغيير طابع حياة أهلها وطمس معالمها التاريخية الاسلامية والعربية وصبغ وجهها بصبغة غريبة عنها في كل المجالات.

إنَّ ما قامت به هذه السلطات في المجال القانوني والقضائي قد أخذ بعدا همجيا أرادت فيه سلطات الاحتلال الاعتداء المشين على حقوق الانسان وسلبه حريته وحقه في المساواة وتقرير مصيره والتعبير عن رأيه، ومن أبرز ماقامت به هذه السلطات في القدس الشريف:

- محاولة فرض السيادة الاسرائيلية على مدينة القدس العربية الخالدة وذلك باعلان ضمها إلى الكيان الصهيوني واعتبارها جزءا لايتجزأ منه وذلك بتاريخ ٢٧/ ٦/ ١٩٦٧م.

وتبع هذا القرار عدة اجراءات قانونية الحق حياة المواطنين فيها إلى هذه السلطات في مختلف المجالات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والقضائية وغيرها.

وقد قابل اهل القدس هذه الاجراءات بالشجب والاستنكار والاعراض عن التعامل مع هذه السلطات على اعتبار انهم جزء من

الضفة الغربية المحتلة.

ونتيجة لذلك فهم يتعرضون وباستمرار إلى المضايقات المتلاحقة من هذه السلطات ويفقدون حقوقهم المدنية لاجبارهم على التعامل وفق القانون الاسرائيلي.

- الغاء العمل باحكام المجلة العثمانية وخاصة فيما يتعلق بقانون الاراضي في محاولة لتسهيل مصادرة الاراضي وابتلاع المزيد منها لاقامة المستوطنات واجبار الاهالي على النزوح عن منطقة القدس، ولابد كذلك من الاشارة إلى أن هذه السلطات ولذات الاهداف عدلت مدة الوكالة الدورية من (٥) سنوات إلى (١٥) سنة.

- الغاء القوانين الاردنية ومنع تطبيق القانون المدني الاردني المستمد من أحكام الشريعة الاسلامية في جميع المعاملات وتطبيق القوانين الاسرائيلية في المحاكم المدنية المختلفة التي تتناقض كليا مع طبيعة المجتمع العربي في المدينة المقدسة. مما أدى إلى تشابك المصالح وزرع الكراهية وفسح المجال لليهود للاعتداء على حقوق المواطنين في القدس.

- فرض الضرائب المختلفة على المواطنين التي اثقلت كاهلهم وتعريضهم لاقصى انواع الاجراءات التعسفية في تنفيذها، ليصبح التجار فاقدي الاهلية لممارسة أعمالهم ولكي لايستطيع أصحاب العقارات والأراضي امتلاكها ليتخلوا عنها للسلطة. ولربط الحياة الاقتصادية في المدينة المقدسة بالاقتصاد الاسرائيلي اقتناء وتمويلا.

- عدم الاعتراف بمحكمة القدس الشرعية ولا بما يصدر عنها من أحكام ووثائق فيما يتعلق بحياة الاسرة (زواج - طلاق - إرث - وقف - وغيرها من الاختصاصات لهذه المحكمة). وتطبيق القانون المعمول به في الكيان الصهيوني المناقض للأحكام الشرعية الاسلامية وخاصة فيما يتعلق بأحكام الزواج والطلاق وذلك بهدف زعزعة استقرار الاسرة المقدسية وبث روح الكراهية بين افرادها وخاصة بين الأزواج وهم ركن الأسرة وعمادها وبين الآباء والأبناء وبالاضافة إلى ذلك السعي لتغريب العقلية العربية ولتتمكن السلطات من فرض هيمنتها على الأوقاف الاسلامية على غرار ما قامت به من اعتداءات تعسفية على الاملاك الوقفية وتحويل المساجد إلى دور للملاهي واندية للقمار أو إلى متاحف واسواق تجارية وحسب ماهو معمول به وفق القانون الصهيوني.

- تطبيق قوانين المعارف والآثار والعمل والعمال والمالكين والمستأجرين الاسرائيلية على أهالي القدس لخلخلة العقلية العربية وايجاد الثغرات لهيئات السلطة المحتلة لوضع اليد على الأملاك الخاصة وزرع الفتنة والكراهية بين العمال وأرباب العمل من جهة وتشجيع المواطنين للانضمام إلى الاحزاب والنقابات الاسرائيلية ولتضعف العمالة وتزيد البطالة بالاضافة إلى إعلان الشركات العربية افلاسها لمحدودية امكاناتها المالية ولعدم القدرة على منافسة الشركات والمصانع اليهودية المدعومة يهوديا وعالميا إلى غير ذلك من اجراءات قانونية.

وقد حاولت سلطات الاحتلال الصهيوني بشكل متواصل منذ

سنة ١٩٦٧م إلى جر اجهزة الاوقاف الاسلامية إلى المحاكم الاسرائيلية لفرض سيادتها على الأماكن المقدسة وضمها إلى دوائر ووزارات كيانها وكان آخر هذه المحاولات صدور قرار مايسمى بالمحكمة العليا الاسرائيلية بتاريخ ٢٣/ ٩/ ١٩٩٣م الذي تضمن عددا من الامور الخطيرة لفرض الهيمنة الصهيونية على الحرم القدسي الشريف. وقد كان للتحرك العربي والاسلامي الموحد أثر المذكرة التي اعدتها الحكومة الاردنية ووزعتها على مختلف الهيئات العربية والاسلامية أكبر الأثر في وقف الاجراءات التنفيذية لهذا القرار. مما يؤكد أن وحدة الموقف هو أحد السبل الاساسية لردع العدوان واعادة الحقوق المغتصبة فهل إلى ذلك من سبيل؟

تصعيد الهجمة الشرسة على مدينة القدس لفرض الهيمنة الصهيونية

تتعرض مدينة القدس بشكل خاص إلى حركة بناء هستيرية تشمل مناطق واحياء عديدة، وذلك من عدة محاور - على عادة ما قامت وتقوم به السلطات المحتلة - في سبيل ابتلاعها للأرض وسرقتها للعقارات الاسلامية واقامتها للمدارس الصهيونية والمستعمرات التي غيرت ديمغرافية المدينة المقدسة.

فتنتهز سلطات الاحتلال انشغال العالم بعدد من القضايا المصيرية في ظل التحضير لما يسمى بالنظام الدولي الجديد، وواقع الأمة الاسلامية المرير في ظل الاختلاف والشقاق بين الاشقاء. لتقوم بتصعيد خطير وسريع لتكثيف وجود اليهود وتهجير السكان العرب الاصليين.

نعم: الهجمة شرسة، والحركة متسارعة وهستيرية، فالميوعة الدولية ومؤازرة مراكز القوى العالمية لما تقوم بها السلطات الصهيونية بالاضافة إلى هذه الاختلافات المؤلمة والمحزنة في عالمنا الاسلامي والعربي، كل ذلك أدى إلى أن تنشط السلطات في هجمتها لتحقق في ظل هذه الاوضاع المتردية اكبر مكاسب ممكنة.

ومن جملة ماتقوم به هذه السلطات للوصول إلى أغراضها:

١ - تثبيت الاحتلال العسكري والتهويد الكامل لمدينة القدس، والتي لايملك اليهود فيها شيئا على الاطلاق.

٢ - الحيلولة دون عودة ابناء فلسطين إلى بلادهم تنفيذا لقرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم ١٩٤ لسنة ١٩٤٨م.

٣ - تصعيد الاستيطان حول القدس، ومصادرة الأراضي ومصادر المياه حيث أصبح ٦٠٪ من أراضي الضفة الغربية المحتلة، ٤٥٪ من أراضي قطاع غزة المحتل أراض مغلقة أو مصادرة وتحت سيطرة سلطات الاحتلال التي تتحكم في ٨٠٪ من موارد المياه في الأراضي العربية المحتلة.

٤ - استمرار قيام سلطات الاحتلال ومستوطنيهم بأعمالهم التعسفية وممارساتهم القمعية والتى تشكل انتهاكا صارخا لاتفاقيات جنيف لسنة ١٩٤٩م للمواطنين العزل وذلك باستعمال اقصى الاساليب الوحشية ضد الانسان وحقوقه الاساسية.

ومن اجل تحقيق الهدف وتهويد الارض وتغيير معالمها الاسلامية والعربية وضعت مايسمى بوزارة البناء والاسكان الاسرائيلية خطة تسمى «النجوم السبعة»[1] لاستيعاب المزيد من موجات الهجرة اليهودية المكثفة وخداع الرأي العام العالمي والالتفاف حول القرارات الدولية التي تتعارض مع خطتها واهدافها.

---

(١) في مؤتمر صحفي عقده الدكتور محمد الفرا الأمين العام المساعد لجامعة الدول العربية رئيس الادارة العامة لشؤون فلسطين بتاريخ ٢٥/ ٢/ ١٩٩٢م بيّن فيه سياسة الكيان الصهيوني في التوسعية الاستيطانية في الأراضي العربية المحتلة وكشف ابعاد هذه الخطة وآثارها المدمرة.

وأهم بنود هذه الخطة :

١ - تشمل الخطة قطاعا طوله ٨٠كم على جانبي خط الهدنة أو ما تطلق عليه سلطات الاحتلال : الخط الأخضر وذلك لمحوه وإيجاد أمر واقع جديد .

٢ - يفصل هذا القطاع بين الضفة الغربية والطرف الشرقي للسهل الساحلي وتمتد من قرية المدية في الجنوب حتى مشارف أم الفحم في الشمال .

٣ - تستهدف الخطة توطين ما لايقل عن ٣٥ ألف مستوطن يهودي في هذا القطاع خلال فترة ١٥ عاما .

٤ - تتم المرحلة النهائية لهذه الخطة عام (٢٠٠٥) حيث سيصبح عدد سكان الكيان الصهيوني (٨) ثماني ملايين نسمة .

٥ - ستصبح الأكثرية بموجب الخطة عام ١٩٩٥م اكثرية يهودية أي مانسبته ٦٤٪ من عدد السكان مقابل ٣٦٪ من العرب . هذا بعد أن كانت نسبة المواطنين العرب ٧٠٪ .

٦ - العمود الفقري لهذه الخطة هو مايسمى بشارع رقم (٦) أو (عابر اسرائيل) وعرضه (١٢٠) مترا حيث لايمكن الدخول اليه أو قطعه إلا بواسطة الجسور والمداخل وسوف يكون شريان المواصلات المركزي الذي يربط المستوطنات بعضها ببعض .

٧ - تكمن خطورة هذا الشارع في كونه سيفصل بين قرى متجاورة تصل نقاط الحدود بينها ، كما أنه سيتحول إلى حاجز يفرق بين القرى والأراضي الزراعية التابعة لها مما سيسهل عملية ضمها .

٨ - يحتاج تنفيذه إلى مصادرة مساحات شاسعة من الأراضي العربية، الأمر الذي يعني المزيد من الاجراءات التعسفية والقمعية.

٩ - يتكلف تنفيذه نحو مليار دولار امريكي، ويعتبر الهدف القومي العاجل لاسرائيل.

١٠ - تشمل خطة النجوم السبعة ايضا: اقامة اربعة مراكز مدنية كبيرة، توفر فرص عمل وخدمات تجارية وصحية وثقافية للمستوطنات بالاضافة إلى اقامة (١٤) منطقة صناعية تصل إلى (١٣٠٠٠) ألف دونم.

تنقسم الخطة إلى ثلاث مراحل هي:

١ - المرحلة الاولى: تنتهي عام ١٩٩٥م.

٢ - المرحلة الثانية: تنتهي عام ١٩٩٨م.

٣ - المرحلة الثالثة: تنتهي عام ٢٠٠٥م.

الخطة طويلة المدى:

- تنتهي عام ٢٠٠٥، حيث سيصبح عدد سكان اسرائيل (٨٠٠٠٠٠٠) ثملنى ملايين نسمة.

- سيصبح عدد سكان المثلث (٥٥٥٥٠٠) نسمة.

منهم (٣٩٣٤٠٠) يهودي.

و (١٦٢١٠٠) عربي.

أما الوضع الحالي فهو كما يلي:

(٤٠٢٥٥) يهودي.

(١٠١٢٠٢) عربي.

وبمجرد تدقيق بسيط في هذه الأرقام سيجد القاريء الكريم أن خطة النجوم السبعة هي حلقة جديدة من حلقات الخطة الاستراتيجية الصهيونية الهادفة إلى تفريغ الأرض المباركة من سكانها الاصليين واستيراد اليهود من انحاء العالم لتوطينهم زورا وبهتانا في فلسطين المباركة.

ولمزيد من الايضاح أرجو أن أضع بين يدي القاريء الفاضل تقريرا نشرته مجلة (بمحانية) العسكرية الصهيونية بتاريخ ١٩/ ٩/ ١٩٩١م يشير بوضوح إلى النوايا العدوانية الصهيونية تجاه مدينة القدس وسعيها إلى الاستيلاء على المزيد من الأراضي العربية لمشاريعها الاستيطانية وما يترتب على ذلك من تغيير لمعالمها وتركيبتها الديمغرافية. وفيما يلي بعض ماجاء فيه:

القدس عام ٢٠٠٠

تشهد مدينة القدس حاليا اربعة مشاريع يهودية كبيرة:

١ - مشروع يقع في الجهة الجنوبية الغربية، من موقع القطار شمال القدس يضم بالاضافة إلى مفترق طرق كبير، محطة سكة حديد ومحطة اضافية ضخمة إلى جانب السوق المحلي والاستاد والأهم من كل هذا المنطقة الصناعية.

٢ - يتمثل المشروع الثاني في شق عدد من الشوارع الكبيرة.

٣ - وفي القسم الشرقي من وسط المدينة يقام عدد من المشروعات الضخمة بمساحة نحو ربع مليون متر مربع، وحين يتم تنفيذها سيصبح في القدس للمرة الأولى مركز حديث. (ميدان مركزي حديث).

٤ - مشروع توسيع المدينة، القاضي بضم ثماني مستوطنات إلى حدود مدينة القدس، أي ما مجموعه (٣٠) ألف دونم في غرب المدينة التي تزيد مساحتها على ربع مساحة المدينة الحالي إلا أن المعارضة الشديدة من قبل سكان مستوطنة (مفشيرت تسيون) أدت إلى حل وسط يدعو إلى ضم (١٥) ألف دونم فقط، وهذه المساحة تسمح ببناء احياء سكنية لعشرات الآلاف من السكان اضافة إلى اقامة مناطق صناعية كبرى.

وكانت القدس قد شهدت حركة بناء مكثفة خلال العشرين عاما الماضية، إلا أنها ومنذ موجة الهجرة الجديدة تواجه مشكلات

حديثة أهمها :

١ - عدم توفر الأراضي اللازمة لبناء المساكن : ولهذه الغاية تم اعداد مشروع على شكل صفقة مع وزارة الداخلية ، تقضي بتوسيع المدينة بضم مستعمرة (مفشيرت تسيون) وذلك لتوفير أراضي صالحة للبناء .

كما طالبت بلدية القدس بضم بعض المستوطنات الأخرى حيث خططت لبناء ٢٦ ألف مسكن جديد . وفي هذا الاطار يقول تيدي كوليك : «لكي نؤمن مساحة واسعة ومتطورة لعاصمة اسرائيل اليهودية والابدية نحن ملزمون بأن نتخذ قرارا يستجيب لاحتياطات المستقبل . وإذا لم يتم القيام بعمل حقيقي فعلي لزيادة السكان اليهود في المدينة عندها ستتعرض المجموعة السكانية اليهودية للخطر ، الوضع الذي من شأنه أن يتحول إلى كارثة سياسية» .

ومن جهة ثانية قال المدير العام لاجهزة التطوير في القدس عوزي ويكساز : «إذا لم يصادق على توسيع مساحة المدينة لن يكون هناك خيار وسيبدأ بهدم احياء بأكملها والاتجاه بالبناء إلى أعلى وعندما لايكفي ذلك لن يكون هناك أي خيار أو حل إلا التوجه والاندفاع نحو المناطق الخضراء» .

وفي هذا الاطار ايضا ادعت وزارة الاسكان أن القدس تواجه صعوبة في إدارة مساحتها الحالية وأن اضافة أي مساحة سيؤدي إلى انهيار اسلوب المدن .

بينما قال اريبل شارون: «انه يجب الموافقة والتسليم بتوسيع رقعة المدن إلى أن تحين الفرصة لضم مساحات من الارض شرق المدينة وشمالها في ما وراء الخط الاخضر» الا انه وبسبب معارضة المستوطنات ضمها إلى مدينة القدس قررت اللجنة المكلفة بهذا الامر التوصل إلى حل وسط وهو أن تحصل القدس على نصف المساحة التي تطالب بها الى جانب ضم مستوطنة (مفشيرت تيسون) اليها فقط.

إلا أن البت النهائي لهذا الموضوع سيعطى للحكومة أو اللجنة الوزارية لشؤون القدس وقد يصل إلى محكمة العدل العليا.

اما بالنسبة لوسط المدينة فقد تردد مرارا، انه لم يحصل أي تغيير منذ العهد العثماني إلا أن المشروع الكبير الذي يدور في الاذهان هو (حي ماميلا) مأمن... الواقع مقابل شارع يافا والذي تبلغ مساحة بنائه اكثر من (١٥٠) ألف متر مربع، وتزيد تكاليفه على مئات الملايين من الدولارات ويمول هذا المشروع المليونير البريطاني سيريل ستاين. وقد تم بناء حي سكني فاخر يضم مائتي وحدة سكنية، كما يجري بناء ساحة ضخمة وفندق لشركة هيلتون.

كما تقيم مصلحة تطوير القدس مشروعا ضخما تبلغ مساحته (٥٠) ألف متر مربع بكلفة اكثر من مائة مليون دولار تسمى الآن بساحة البلدية والهدف منه هو جمع وحشد مكاتب البلدية في مكان واحد. ويأمل فكلر في أن تصبح الساحة الجديدة مكانا لتنظيم التظاهرات وإقامة الاحتفالات الكبرى.

إن الأهمية الكبرى المعلقة على مشروع ماميلا والمشاريع الاخرى تبدو وكأن مركز المدينة سيتحول شرقا باتجاه البلدة القديمة.

وتجدر الاشارة إلى الأهمية الكبيرة المعلقة على مشروع (ماميلا) فمن الناحية السياسية ستصبح المدينة موحدة بصورة فعلية، إذ إن ساحة البلدية ستقام على الخط الفاصل بين شطري المدينة.

المواصلات في قلب المدينة

اصبحت القدس الآن بحاجة إلى شبكة جديدة من الطرقات، أهمها الشارع رقم (١) الذي يربط بين شمال المدينة ووسطها، والطريق يجتاز المنطقة الحرام التي فصلت حتى عام ١٩٦٧م بين شطري المدينة، ومن هذا الطريق تدخل المركبات إلى وسط المدينة من خلال عدد من المسارب والطرق الصغيرة واهمها طريق الأنبياء، ولتحقيق هذه الغاية سيتم توسيع قطعة كبيرة من الشارع من (١٢) مترا إلى (٣٢) مترا، مما يعني بالضرورة تدمير هذا الشارع الذي امتاز سابقا بمنازله الصغيرة المحاطة بمساحات وفئات كبيرة، كما أن هناك شارعا آخر هو طريق ايلون القدس وسيكون على شكل اوتوستراد سريع بلا مفترقات او تقاطعات ويبدأ في منطقة رام الله وينتهي عند التجمع الاستيطاني (غوش عستيون) عند بيت لحم. وسوف يمكن السيارات من اجتياز القدس دون حاجة إلى الدخول في قلب المدينة.

وفي الآونة الاخيرة قدمت بلدية القدس للجنة التخطيط برنامجا جديدا لما يسمى (كريات هليئوم) أو (قرية الامة) إلى جانب السلسلة الفاخرة من الأبنية والساحات الكبيرة، يقترح هذا البرنامج إقامة أبنية جديدة تضاف إلى مكتب رئيس الوزراء الاسرائيلي بوزارة الخارجية، ويتم تمويله مما سيباع من الساحة الكبيرة التي تقام عليها الآن وزارة الخارجية.

وبين شبكة الطرقات المزمع اقامتها سيتم انشاء عشرة مشاريع كبيرة احدها الملعب البلدي الذي شارف على الانتهاء، وبالقرب منه سوق القدس الكبير (الكينون) على مساحة تصل إلى (٤٠) ألف متر مربع، كما تم انشاء ثلاثة اسواق مركزية في سوق المالحة أو مايسمى بالعبرية كينون المالحة بالاضافة إلى مائة دكان صغيرة، وثلاث دور للسينما.

كذلك هناك مشاريع تم تخطيطها لتنفيذها في المنطقة وهي:

- حي سكني راق فيه ألف فيلا ودار سكنية على تلة المالحة.
- حديقة حيوانات كبيرة على منطقة مساحتها (٢٤٠) دونما.
- مدرسة للمتفوقين.
- بيت المقاتل.
- حديقة التكنولوجيا التي ستقام بالقرب من السوق الكبير، حيث سيصبح هذا الموقع عبارة عن منطقة صناعية وعلمية بمساحة (٦٠) ألف متر مربع يؤمن العمل لأربع آلاف نسمة.

هذا وكانت القدس قد تمتعت مؤخرا بمركز منطقة تطوير (أ) للصناعات العلمية.

وفي هذا الاطار يأمل فكلر في أن تضاعف نسبة العاملين في قطاع الصناعة في المدينة لتقفز من ١٢٪ إلى ٢٤٪، لذلك فهناك حاجة ملحة لتأمين اكثر من (٧٠) ألف فرصة عمل في مجال الصناعة.

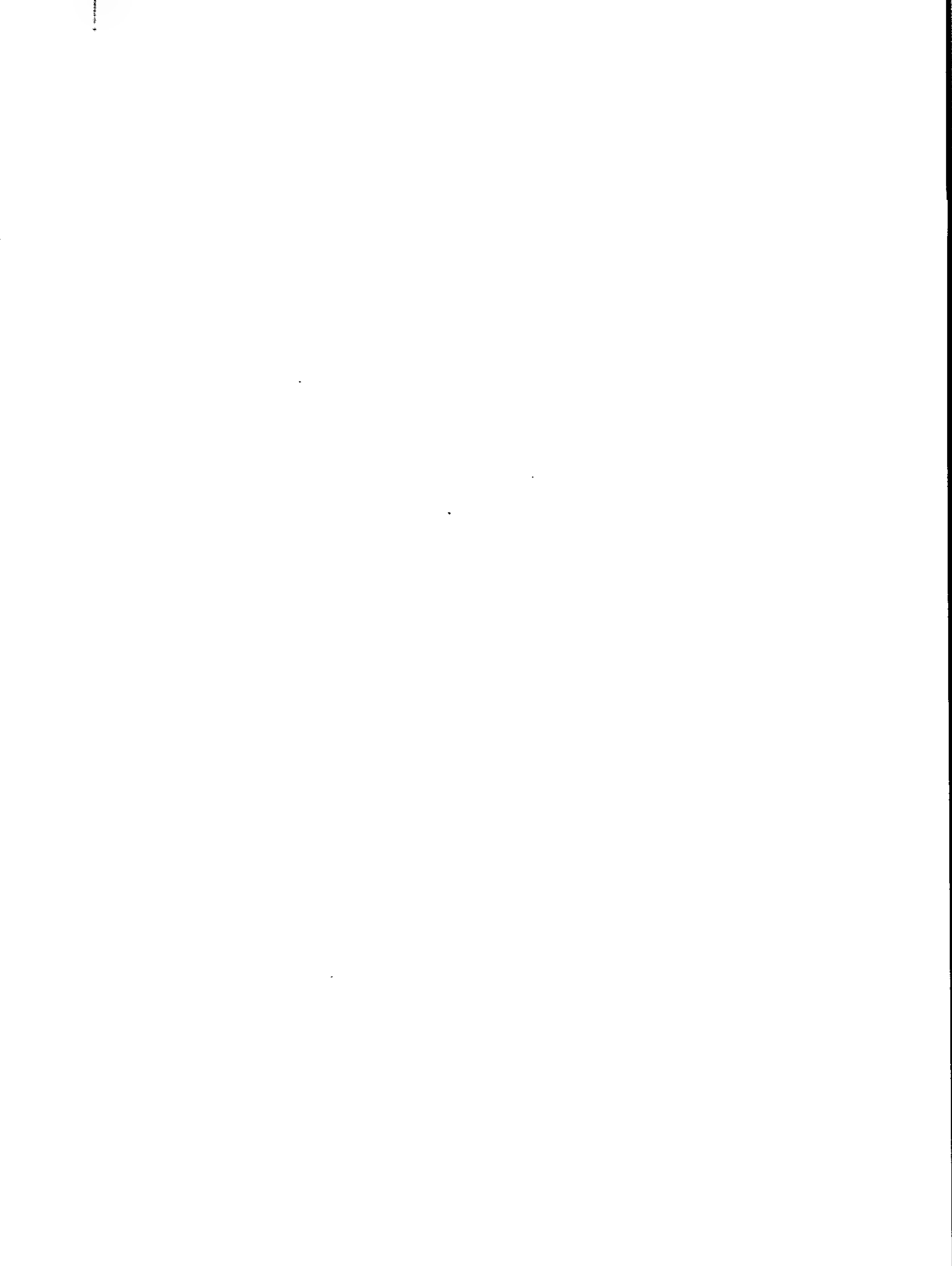
كما أن هناك ظاهرة بارزة في مدينة القدس الآن اخذت صورتها



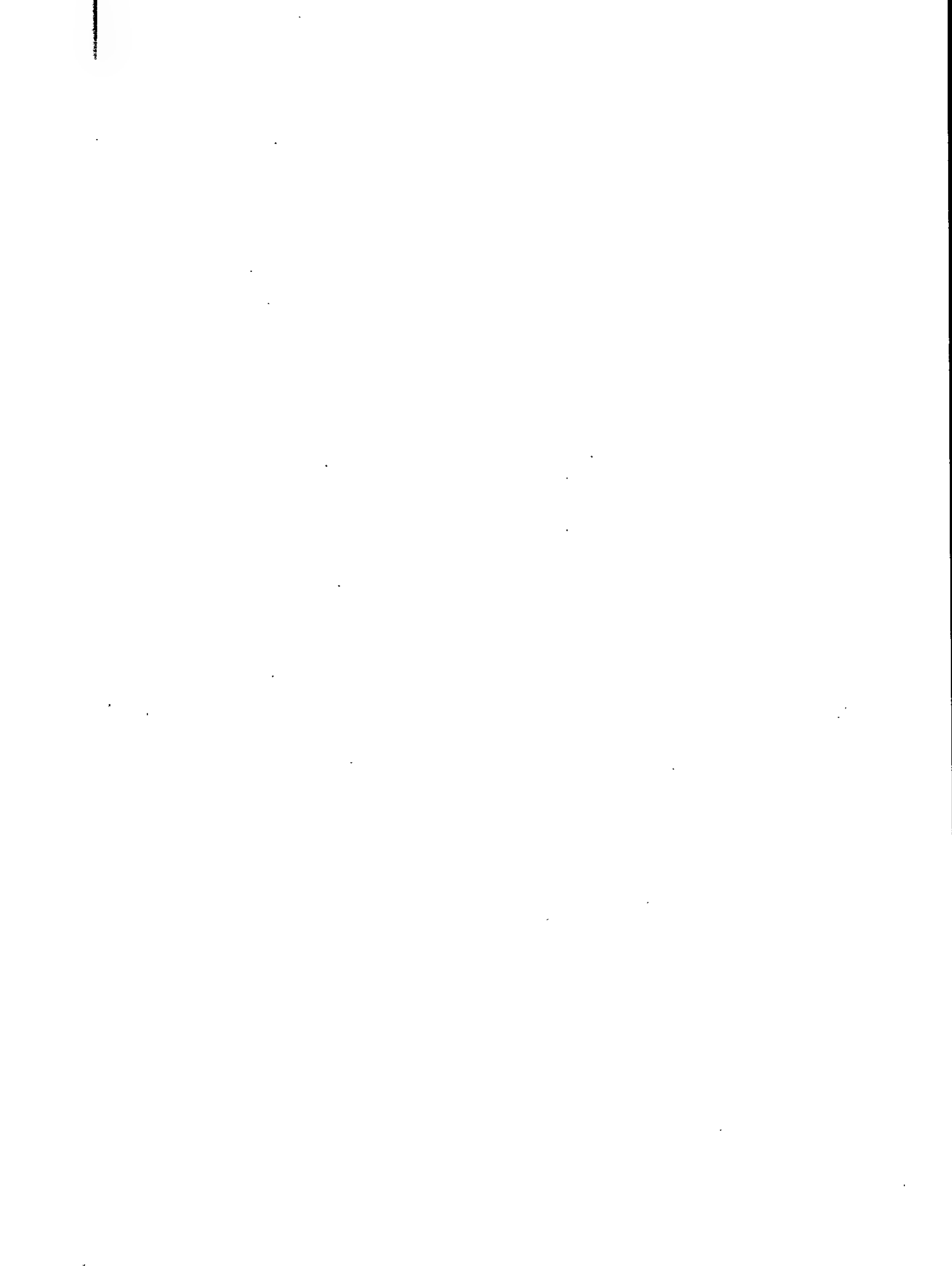
تتضح في الفترة الاخيرة وهي بناء الكُنَس اليهودية الضخمة، فكل طائفة يهودية في القدس تجمع الأموال الكثيرة بغية بناء الهيكل الضخم الخاص بها، وقد استهل العمل بهذا النشاط البنائي المركز العالمي (بلعاز) وقد خصص لهذا البناء (١٤) ألف متر مربع، وموقعه في شمال القدس ومخطط له أن يكون اكبر كنيس يهودي في العالم، وقد تم بناء جزء كبير منه.

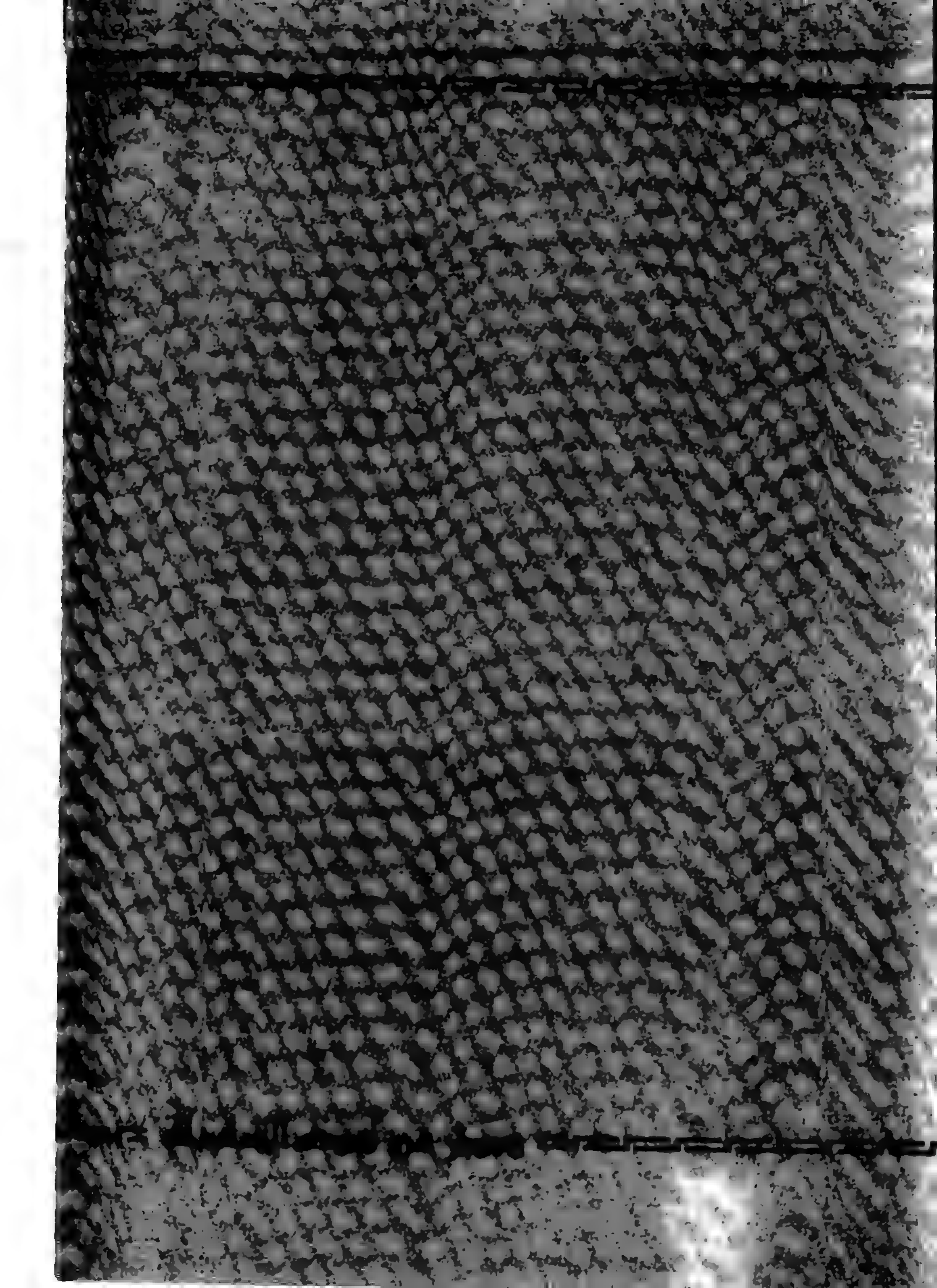
تجدر الاشارة إلى أنه يسكن القدس الآن نصف مليون نسمة، إلا أنه وبعد تنفيذ هذه المشاريع لتوسيع القدس سيصل عدد سكانها إلى (٨٠٠) ألف نسمة.

امام هذا الواقع المرير وهذه المخططات الرهيبة لابد من تحرك سريع اقله وقف احترازي لهذه الاجراءات حتى يتم طرح قضية القدس. مع أن سلطات الاحتلال ومن يساندها لايجدي معهم إلا أن تلتقي هذه الامة على كلمة سواء يعيد الامور إلى نصابها والحق إلى اهله. قال تعالى ﴿**ولينصرن الله من ينصره**﴾ صدق الله العظيم.



فهرست





٣٢- الدعوة في الإسلام عقيدة ومنهج ـــــ د. السيد رزق الطويل
٣٣- الاعلام في المجتمع الإسلامي ـــــ أ. حامد عبد الواحد
٣٤- الالتزام الديني منهج وسط ـــــ الشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة
٣٥- التربية النفسية في المنهج الإسلامي ـــــ د. حسن الشرقاوي
٣٦- الإسلام والعلاقات الدولية ـــــ د. محمد الصادق عفيفي
٣٧- العسكرية الإسلامية ونهضتنا الحضارية ـــــ اللواء الركن محمد جمال الدين محفوظ
٣٨- معاني الأخوة في الإسلام ومقاصدها ـــــ د. محمود محمد بابللي
٣٩- النهج الحديث في مختصر علوم الحديث ـــــ د. علي محمد نصر
٤٠- من التراث الاقتصادي [١] ـــــ د. رفعت العوضي
٤١- أسس المفاهيم الاقتصادية في الإسلام ـــــ د. عبد العليم عبد الرحمن خضر
٤٢- الأقليات المسلمة في أفريقيا ـــــ أ. سيد عبد المجيد بكر
٤٣- الأقليات المسلمة في أوروبا ـــــ أ. سيد عبد المجيد بكر
٤٤- الأقليات المسلمة في الأمريكتين والبحر الكاريبي ـــــ أ. سيد عبد المجيد بكر
٤٥- الطريق إلى النصر ـــــ أ. محمد عبد الله فودة
٤٦- الإسلام دعوة الحق ـــــ د. السيد رزق الطويل
٤٧- الإسلام والنظر في آيات الله الكونية ـــــ د. محمد عبد الله الشرقاوي
٤٨- دحض مفتريات ضد إعجاز القرآن ولغته ـــــ د. البدراوي عبد الوهاب زهران
٤٩- المجاهدون في فطاني ـــــ أ. ضياء شهاب
٥٠- معجزة خلق الإنسان بين الطب والقرآن ـــــ د. نبيه عبد الرحمن عثمان
٥١- مفهوم القيادة في إطار العقيدة الإسلامية ـــــ د. سيد عبد الحميد مرسي
٥٢- ما يختلف فيه الإسلام عن الفكر الغربي والماركسي ـــــ أ. أنور الجندي
٥٣- الشورى سلوك والتزام ـــــ د. محمود محمد بابللي
٥٤- الصبر في ضوء الكتاب والسنة ـــــ أ. أسماء عمر فدعق
٥٥- مدخل إلى تحصين الأمة ـــــ د. أحمد محمد الخراط
٥٦- القرآن كتاب أُحكمت آياته [٣] ـــــ أ. أحمد محمد جمال
٥٧- كيف تكون خطيباً ـــــ الشيخ عبد الرحمن خليف
٥٨- الزواج بغير المسلمين ـــــ الشيخ حسن خالد
٥٩- نظرات في قصص القرآن [١] ـــــ أ. محمد قطب عبد العال
٦٠- اللسان العربي والإسلام معاً في معركة المواجهة ـــــ د. السيد رزق الطويل
٦١- بين علم آدم والعلم الحديث ـــــ أ. محمد شهاب الدين الندوي
٦٢- المجتمع الإسلامي وحقوق الإنسان ـــــ د. محمد الصادق عفيفي
٦٣- من التراث الاقتصادي للمسلمين [٢] ـــــ د. رفعت العوضي
٦٤- تصحيح مفاهيم حول التوكل والجهاد ـــــ الشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة
٦٥- لماذا وكيف أسلمت [١] ـــــ أ. أحمد سامي عبد الله
٦٦- أصلح الأديان للإنسانية عقيدة وشريعة ـــــ أ. أحمد عبد الغفور عطار

صدر من هذه السلسلة

١ – تأملات في سورة الفاتحة	د. حسن باجودة
٢ – الجهاد في الإسلام مراتبه ومطالبه	أ. أحمد محمد جمال
٣ – الرسول في كتابات المستشرقين	أ. نذير حمدان
٤ – الإسلام الفاتح	د. حسين مؤنس
٥ – وسائل مقاومة الغزو الفكري	د. حسان محمد حسان
٦ – السيرة النبوية في القرآن	د. عبد الصبور مرزوق
٧ – التخطيط للدعوة الإسلامية	د. علي محمد جريشة
٨ – صناعة الكتابة وتطورها في العصور الإسلامية	د. أحمد السيد دراج
٩ – التوعية الشاملة في الحج	أ. عبد الله بوقس
١٠ – الفقه الإسلامي آفاقه وتطوره	د. عباس حسني محمد
١١ – لمحات نفسية في القرآن الكريم	د. عبد الحميد محمد الهاشمي
١٢ – السنة في مواجهة الأباطيل	أ. محمد طاهر حكيم
١٣ – مولود على الفطرة	أ. حسين أحمد حسون
١٤ – دور المسجد في الإسلام	أ. علي محمد مختار
١٥ – تاريخ القرآن الكريم	د. محمد سالم محيسن
١٦ – البيئة الإدارية في الجاهلية وصدر الإسلام	أ. محمد محمود فرغلي
١٧ – المرأة وحقوقها في الإسلام	د. محمد الصادق عفيفي
١٨ – القرآن الكريم كتاب أُحكمت آياته [١]	أ. أحمد محمد جمال
١٩ – القراءات : أحكامها ومصدرها	د. شعبان محمد اسماعيل
٢٠ – المعاملات في الإسلام	د. عبد الستار سعيد
٢١ – الزكاة : فلسفتها وأحكامها	د. علي محمد العماري
٢٢ – حقيقة الإنسان بين القرآن وتصور العلوم	د. أبو اليزيد العجمي
٢٣ – الأقليات المسلمة في آسيا وأستراليا	أ. سيد عبد المجيد بكر
٢٤ – الاستشراق والمستشرقون وجهة نظر	د. عدنان محمد وزان
٢٥ – الإسلام والحركات الهدامة	معالي عبد الحميد حمودة
٢٦ – تربية النشء في ظل الإسلام	د. محمود محمد عمارة
٢٧ – مفهوم ومنهج الاقتصاد الإسلامي	د. محمد شوقي الفنجري
٢٨ – وحي الله – حقائق وخصائص في الكتاب والسنة	د. حسن ضياء الدين عتر
٢٩ – حقوق الإنسان وواجباته في القرآن	أ. حسن أحمد عبد الرحمن عابدين
٣٠ – المنهج الإسلامي في تعليم العلوم الطبيعية	أ. محمد عمر القصار
٣١ – القرآن كتاب أُحكمت آياته [٢]	أ. أحمد محمد جمال

الرقم	العنوان	المؤلف
٦٧-	العدل والتسامح الإسلامي	أ. السيد أحمد المخزنجي
٦٨-	القرآن كتاب أُحكمت آياته [٤]	أ. أحمد محمد جمال
٦٩-	الحريات والحقوق في الإسلام	أ. محمد رجاء حنفي عبد المتجلي
٧٠-	الإنسان الروح والعقل والنفس	د. نبيه عبد الرحمن عثمان
٧١-	موقف الجمهوريين من السنة النبوية	د. شوقي بشير
٧٢-	الإسلام وغزو الفضاء	الشيخ محمد سويد
٧٣-	تأملات قرآنية	د. عصمة الدين كركر
٧٤-	الماسونية سرطان الأمم	أ. أبو إسلام أحمد عبد الله
٧٥-	المرأة بين الجاهلية والإسلام	أ. سعد صادق محمد
٧٦-	استخلاف آدم عليه السلام	د. علي محمد نصر
٧٧-	نظرات في قصص القرآن [٢]	أ. محمد قطب عبد العال
٧٨-	لماذا وكيف أسلمت [٢]	أ. أحمد سامي عبد الله
٧٩-	كيف نُدَرِّس القرآن لأبنائنا	د. سراج محمد وزان
٨٠-	الدعوة والدعاة .. مسؤولية وتاريخ	الشيخ أبو الحسن الندوي
٨١-	كيف بدأ الخلق	أ. عيسى العرباوي
٨٢-	خطوات على طريق الدعوة	أ. أحمد محمد جمال
٨٣-	المرأة المسلمة بين نظرتين	أ. صالح محمد جمال
٨٤-	المبادىء الاجتماعية في الإسلام	أ. محمد رجاء حنفي عبد المتجلي
٨٥-	التآمر الصهيوني الصليبي على الإسلام	د. عاصم حمدان علي
٨٦-	الحقوق المتقابلة بين الزوجين في الشريعة الإسلامية	د. عبد الله محمد سعيد
٨٧-	من حديث القرآن عن الإنسان	د. علي محمد حسن العماري
٨٨-	نورمن القرآن في طريق الدعوة والدعاة	د. محمد الحسين أبو سم
٨٩-	أسلوب جديد في حرب الإسلام	أ. جمعان عايض الزهراني
٩٠-	القضاء في الإسلام	أ. سليمان محمد الحميضي
٩١-	دولة الباطل في فلسطين	الشيخ محمد سويد
٩٢-	المنظور الإسلامي لمشكلة الغذاء وتحديد النسل	د. حلمي عبد المنعم صابر
٩٣-	التهجير الصيني في تركستان الشرقية	أ. رحمة الله رحمتي
٩٤-	الفطرة وقيمة العمل في الإسلام	أ. اسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي
٩٥-	أُوصيكم بالشباب خيراً	أ. أحمد محمد جمال
٩٦-	المسلمون في دوائر النسيان	أ. أسماء أبو بكر محمد
٩٧-	من خصائص الإعلام الإسلامي	أ. محمد خير رمضان يوسف
٩٨-	الحرية الاقتصادية في الإسلام	د. محمود محمد بابللي
٩٩-	من جماليات التصوير في القرآن الكريم	أ. محمد قطب عبد العال
١٠٠-	مواقف من سيرة الرسول ﷺ	أ. الأمين الحاج محمد أحمد
١٠١-	اللسان العربي بين الانتشار والانحسار	أ. عبد الرحمن خليف

	العنوان	المؤلف
١٦٩–	مفاهيم يجب أن تُصحح	أ. بغداد سيدي محمد أمين
١٧٠–	السنة النبوية المطهرة	الشيخ محمد علي الصابوني
١٧١–	نحو مشروع حضاري للإسلام	د. أحمد القديدي
١٧٢–	الإعلام الإسلامي رسالة وهدف	أ. سمير بن جميل راضي
١٧٣–	الشريعة والتشريع	أ. فاطمة السيد علي سباك
١٧٤–	ترجمات معاني القرآن الكريم	د. عبد الله عباس الندوي
١٧٥–	خصائص النظام الاقتصادي في الإسلام	أ. زيد بن محمد الرماني
١٧٦–	الرحمة المهداة محمد رسول الله ﷺ	د. نزار بن عبد الكريم بن سلطان الحمداني
١٧٧–	المعاهدات الدولية في فقه الإمام محمد الشيباني	أ. عثمان بن جمعة ضميرية
١٧٨–	التكامل وتقسيم العمل الإقليمي بين الأقطار الإسلامية	د. محمد إبراهيم منصور
١٧٩–	شقائق الرجال وحل مسألة المرأة في المنهج الإسلامي	أ. حسني شيخ عثمان
١٨٠–	في غرب الهند	أ. محمد بن ناصر العبودي
١٨١–	في بلاغة الدعاء النبوي	د. عبد الرازق محمد محمود فضل
١٨٢–	الإعلام الغربي والمؤامرة على الإسلام في أفريقيا	د. عبدالعليم عبدالرحمن خضر
١٨٣–	منهجية البحث العلمي وضوابطه في الإسلام	د. حلمي عبد المنعم صابر
١٨٤–	معالم من الفكر التربوي عند علماء المسلمين	أ.د. أحمد محمد الخراط
١٨٥–	أهل الحل والعقد صفاتهم ووظائفهم	د. عبدالله بن إبراهيم الطريقي
١٨٦–	التربية في عهد الرسول ﷺ نشأتها وتطورها	حامد سالم عايض الحربي
١٨٧–	الزكاة وتنمية المجتمع	السيد أحمد المخزنجي

طبع بمطابع رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة